التنافس السعودي البوسعيدي في جنوب غرب الخليج العربي ١٢١٢ - ١٢٢٠ / ١٧٩٧ - ١٨٠٥م

د. عويضه بن متيريك الجهني
قسم التاريخ - كلية الآداب
جامعة الملك سعود

تمهيـد :

في بداية القرن الثالث عشر الهجري / أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، برزت على طول الساحل الشرقي لجزيرة العرب أربع قوى سياسية منها اثنتان رئيستان هما : الدولة السعودية وحكومة مسقط البوسعيدية ، واثنتان فرعيتان هما : الاتحاد القاسمي ومشيخات العتوب ، وقد أبدت القوتان الرئيستان رغبة شديدة في التوسع وأخذتا في التنافس على النفوذ على القوتين الفرعيتين وغيرهما من قبائل جنوب غرب الخليج العربي .

ستحاول هذه الدراسة الإسهام في معرفة الظروف التي دفعت كلاً من الدولة السعودية وحكومة مسقط إلى التنافس على ولاء قبائل جنوب غرب الخليج ، من ناحية ، والدوافع التي أسهمت في توجيه مواقف تلك القبائل من كلا الدولتين من

ناحية أخرى . كما ستحاول الدراسة تحليل أثر مقتل السيد سلطان بن أحمد ، حاكم مسقط ، على مسار ذلك التنافس وعلى مواقف القواسم والعتوب وأهل الظاهرة منه . ولأن جذور هذا التنافس لها علاقة وثيقة بالظروف التي صاحبت نشأة القوى المشار إليها ، فقد تطلبت هذه الدراسة الحديث عن نشأة تلك القوى للتعرف على الجذور الأولى لذلك التنافس . ويعود اقتصار هذه الدراسة على الفترة المحددة أعلاه لكون بدايتها تمثل بداية التنافس والاحتكاك بين الدولة السعودية وحكومة مسقط ، بينما تمثل نهايتها مقتل السيد سلطان بن أحمد وما ترتب على مقتله من نتائج كان لها أثر بعيد على ميزان ذلك التنافس .

أ - ظهور البوسعيديين وحكومة مسقط :

في أواخر النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ضعف نفوذ اليعاربة - حكام عمان - وأخذ زعماؤهم يتنازعون الإمامة ، وقد أدى ذلك إلى انقسام القبائل العمانية (١) إلى فئات دينية - سياسية ، واستعانة بعض الزعماء المتنافسين بالفرس ضد خصومهم مما نتج عنه احتلال الحاميات الفارسية لبعض الموانئ والمدن العمانية عام ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م (٢) .

كان من أبرز عمال اليعاربة في أواخر أيامهم ، أحمد بن سعيد البوسعيدي ، حاكم بلدة صحار . وقد استغل هذا الحاكم ضعف أسرة اليعاربة وتنافسهم على الحكم ووفاة اثنين من الأئمة اليعاربة المتنافسين في عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م ونفور العمانيين من النفوذ الفارسي في بلادهم ، فأخذ في تقوية مركزه في صحار وحمل على عاتقه مهمة طرد الفرس من البلاد . وبعد أن نجح في إخراج القوات الفارسية من عمان ، اختاره العمانيون إماماً في عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م . وبذلك وضع أساس أسرة حاكمة جديدة في عمان هي أسرة البوسعيديين (٣) .

تمتعت عمان بهدوء نسبي خلال فترة حكم الإمام أحمد بن سعيد الذي استمر قريباً من أربعين عاماً . لكن ذلك الإمام لم يستطع التغلب على مشكلة انقسام القبائل العمانية إلى هناوية وغافرية ، حيث كان الثوار والطامعون في السلطة يستغلون ذلك الانقسام للتخلص من نفوذ الحكومة المركزية ، كذلك لم يتمكن الإمام أحمد من فرض سلطته على جميع المناطق والقبائل العمانية ، خاصة مناطق الشمال (الصير) والظاهرة التي تنتمي أغلب قبائلها إلى الحزب الغافري (٤) . ويظهر أنه كان لضعف نفوذ الإمام أحمد بن سعيد في الصير والظاهرة وغيرهما من المناطق الداخلية ، وكونه حاكماً سابقاً لميناء صحار وأحد تجاره دور في تركيز ذلك الإمام لسلطته في أقاليم الباطنة والبلدان الساحلية واهتمامه الكبير بالتجارة والملاحة . حيث أصبحت مسقط بفضل ذلك الاهتمام وبفضل نشاط الأوروبيين التجاري

في الخليج وانتقال وكالة شركة الهند الشرقية من بندر عباس إلى البصرة في عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م مركزاً تجارياً مهماً تمر به المراكب والسفن التجارية المترددة بين الهند وشرق إفريقيا والبحر الأحمر وحوض الخليج العربي (٥) . خلف سعيد أباه الإمام أحمد بن سعيد عند وفاته عام ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م ، لكن الإمام سعيد كان حاكماً منحازاً إلى الهناوية ، خاملاً قبع في عاصمته الرستاق في الداخل ولم يدرك التحول الذي كانت تمر به عمان (٦) . ولما شعر ابنه ، السيد حمد بن سعيد بقرب فقدان أبيه للسيطرة على البلاد نتيجة لسوء سياسته وإصراره على البقاء في الرستاق وطمع أعمامه في الحكم ، احتال للقبض على زمام الأمور في مسقط منذ عام ١١٩٨هـ/ ١٧٨٤م ، وأخذ يحكم أغلب الأقاليم العمانية وخاصة الساحلية وزنجبار في شرق أفريقيا من مسقط ، ولم يترك لأبيه سوى الإمامة وحكم الرستاق وبعض الأماكن الداخلية . وبذلك اقتسمت البلاد العمانية حكومتان ؛ الإمامة في الرستاق والداخل ، وحكومة مسقط في السواحل والأقاليم التابعة لها فيما وراء البحار (٧) . وقد اهتم حكام مسقط خلال هذه الفترة بتطوير اسطولهم وتجارتهم وخاصة مع الفرنسيين في جزيرة فرنسا (ILE DE FRANCE) أو موريشوس (MAURITIUS) في غرب المحيط الهندي ، وحكام ميسور في الهند (٨) .

عندما توفى السيد حمد في عام ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م سارع عمه السيد سلطان ابن أحمد للاستيلاء على مسقط والسلطة في عمان معتمداً على الحزب الغافري . ولما عجز إخوته الآخرون عن التغلب عليه ، عقد ممثلون عنهم اجتماعاً في بركة ، اتفقوا فيه على تقسيم البلاد بينهم ، فاستقل قيس بصحار ، ومحمد بالسويق ، وأحتفظ سلطان بمسقط وبركة والمصنعة والمناطق الساحلية وتدبير الشؤون السياسية العليا في الدولة ، وتركوا للإمام سعيد الرستاق والإمامة (٩) .

أدرك السيد سلطان بن أحمد (١٢٠٧-١٢١٩هـ/ ١٧٩٣ - ١٨٠٤م) مثل ابن أخيه وسلفه السيد حمد بن سعيد الأهمية المتنامية لمسقط والمناطق الساحلية التي اكتسبتها بفضل نمو التجارة في الخليج ، فاهتم بتطوير القوة البحرية والأسطول

التجاري العماني . كما أخذ في توسيع نفوذه السياسي والتجاري على سواحل الخليج العربي وسواحل فارس ومكران وساحل شرق إفريقيا ، فاستولى على جوادر وشهبار على ساحل مكران ، كما استولى على جزيرة البحرين لفترة قصيرة وجزيرتي قشم وهرمز في مدخل الخليج ، كما حصل على عقد إيجار لميناء بندر عباس من الحكومة الفارسية ، وطور تجارة زنجبار والمناطق المجاورة لها مع مسقط وموريشوس (١٠) .

وفي عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م خافت حكومة الهند البريطانية من نشاطات الفرنسيين في الشرق على مصالحها في الهند والبحار الشرقية ، فعقدت معاهدة (قولنامة) مع السيد سلطان تعهد بموجبها ، باعتبار حكومة الهند صديقة له وصديقها صديقاً له وعدوها عدواً له وقطع كل علاقاته بالفرنسيين والهولنديين ، وأن يسمح للبريطانيين بإقامة وكالة بريطانية في بلاده ويمنحهم تسهيلات سياسية وتجارية وضرائبية كبيرة لم يكن البريطانيون يحلمون بها ، أو يجرؤ أسلافه من حكام عمان على التنازل عنها . (١١) ، ويظهر أن للتوجهات الجديدة لحكومة مسقط نحو البحر والتجارة والعالم الخارجي ، والمصالح التجارية العمانية الكبيرة والمتزايدة في الهند وسيطرة البريطانيين على تلك البلاد في نهاية القرن دوراً كبيراً في ذلك . ومن جهة أخرى ، فإن الانقسامات المذهبية والقبلية في عمان والطموحات الإقليمية والتجارية التي كان يسعى إليها السيد سلطان ، قد أدخلته في حروب مع أغلب القوى والقبائل في حوض الخليج . وقد اعتقد السيد سلطان أن البريطانيين الذين أصبحوا أكبر قوة في الهند والبحار الشرقية سيمدون له يد العون ضد خصومه ويساهمون في تحقيق طموحاته إذا تحالف معهم (١٢) .

أصبحت مسقط خلال حكم السيد سلطان بن أحمد العاصمة السياسية لعمان ، كما أصبحت المركز الرئيس (EMPORIUM) لتبادل التجارة بين حوض الخليج العربي وبين الهند والبحر الأحمر وشرق إفريقيا (١٣) . وقد ترتب على هذا التوجه الجديد في سياسة السيد سلطان وسلفه نتيجة مهمة وهي توجه اهتمام حكام مسقط

تجاه البحر والتجارة والعالم الخارجي وإهمالهم لأمور الإمامة والقبائل والأقاليم الداخلية . وفي هذا الوقت بالذات ، بدأت عمان تتعرض لضغوط سياسية وعسكرية من داخل الجزيرة العربية أخذت تمارسها الدولة السعودية ، وكان للتوجهات والاهتمامات الجديدة لحكام مسقط المشار إليها أعلاه ، الأثر الكبير في الكيفية التي استجاب بها السيد سلطان بن أحمد لتلك الضغوط والطريقة التي واجه بها حملات الدولة السعودية كما سنرى من خلال هذه الدراسة .

ب – ظهور الاتحاد القاسمي :

نتج عن ضعف أسرة اليعاربة والانقسامات الدينية والسياسية التي تبعت ذلك والتي سبقت الإشارة إليها انحسار نفوذ حكام عمان عن سواحل وقبائل شمال عمان (الصير) . وقد برز خلال هذه الفترة شيوخ القواسم في جلفار (رأس الخيمة) في الصير وتمكنوا من توحيد أكثر قبائل الصير تحت نفوذهم وتكوين قوة سياسية وبحرية في شمال عمان ، وقد شكل هذا الاتحاد القاسمي قسماً مهماً من الفئة أو الحزب الغافري في أواخر عهد الأئمة اليعاربة (١٤) .

اتجه القواسم في فترة مبكرة من القرن الثاني عشرة للهجرة / الثامن عشر للميلاد إلى البحر وامتلكوا المراكب من مختلف الأحجام واستخدموها في صيد الأسماك والغوص للبحث عن اللؤلؤ ، كما استخدموها في نقل التجارة بين الموانئ العمانية ، وبين موانئ حوض الخليج العربي وبين موانئ الهند (١٥) . وفي عام ١١٢٩هـ/ ١٧١٧م أسهم القواسم مع الإمام سلطان بن سيف الثاني اليعربي في الاستيلاء على جزر قشم والبحرين ولارك وحصار هرمز . وبعد ذلك بعدة سنوات قام شيخ القواسم بإنشاء ميناء له في باسيدو على جزيرة قشم ، استقطب قسماً كبيراً من تجارة ميناء بندر عباس مما اضطر السيد درابر (W.H. DRAPER) وكيل شركة الهند الشرقية في ذلك الميناء إلى القيام بحملة بحرية ضد القواسم وإجبارهم على دفع تعويض عن الخسارة التي سببها ميناؤهم الجديد لعوائد الشركة في بندر

عباس(١٦) .

لما جاء البوسعيديون إلى الحكم في عمان ، دخل القواسم وحلفاؤهم من قبائل الصير والظاهرة معهم في نزاع وحروب بسبب انتماء البوسعيديين للقبائل الهناوية واعتمادهم عليها ومحاولة الإمام أحمد بن سعيد مد نفوذه إلى بلاد الصير والشمال وحرص القواسم على الاحتفاظ باستقلالهم (١٧) . إضافة إلى تلك الدوافع الدينية والسياسية للنزاع بين البوسعيديين والاتحاد القاسمي كانت هناك دوافع اقتصادية مهمة أساسها المنافسة على نقل تجارة الخليج العربي والسيطرة على مدخل ذلك الممر المائي والجزر التي تتحكم في ذلك المدخل (١٨) .

إن من اللافت للانتباه أن كلاً من شيوخ القواسم والبوسعيديين برزوا خلال الفترة نفسها ، على إثر ضعف سلالة اليعاربة ونهاية دولتهم في عمان من ناحية ، وضعف نفوذ الدولة الفارسية في حوض الخليج من ناحية أخرى . وأبدى الطرفان كلاهما اهتماماً كبيراً بالملاحة والتجارة ، وكونا الأساطيل التجارية التي اشتغلت في نقل السلع بين موانئ الخليج المختلفة وبينها وبين موانئ سواحل الهند وشرق إفريقيا والبحر الأحمر (١٩) . وقد حاول الإمام أحمد بن سعيد كسب القواسم إلى جانبه والاستفادة من أسطولهم الكبير وتفوقهم البحري في تحقيق طموحاته السياسية والتجارية في حوض الخليج ونجح عدة مرات في الحصول على مساعدتهم وخاصة ضد الفرس (٢٠) . لكن شيوخ القواسم كانوا دائماً يصرون على استقلالهم بالسيطرة على السواحل الشمالية والتأكيد على أحقيتهم بالتحكم في مدخل الخليج وجزره القريبة من تلك السواحل . ولذلك كانت الحروب تتجدد بين الطرفين كلما شعر أولئك الشيوخ بأن حاكم عمان يهدد مصالحهم التجارية أو يحاول فرض نفوذه السياسي على مناطقهم (٢١) .

والواقع أن شيوخ القواسم كانوا أسبق من الحكام البوسعيديين في التنبه إلى أهمية السيطرة على مدخل الخليج وجزره واستغلال الفراغ السياسي والملاحي الذي نتج عن ضعف نفوذ الدولة الفارسية في حوض الخليج العربي . فقد استغل

الشيخ راشد بن مطر (١١٧١ - ١١٩١هـ/ ١٧٥٨ - ١٧٧٧م) وابنه وخليفته الشيخ صقر بن راشد (١١٩١ - ١٢١٨هـ/ ١٧٧٧ - ١٨٠٣م) الاضطرابات والفوضى التي أعقبت مقتل نادر شاه عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م ، ثم وفاة كريم خان الزندي عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م لمد نفوذ القواسم في بعض الفترات إلى موانئ وجزر الساحل الشرقي للخليج مثل جزيرة قشم ولنجه وكنج ولفت وغيرها . كما وقعت في أيديهم بعض قطع الأسطول الفارسي عن طريق تحالفهم مع ملا علي شاه حاكم جزيرة هرمز وبندر عباس وقائد الأسطول الفارسي (٢٢) . وقد نمت قوة الاتحاد القاسمي خلال عهد الشيخين المذكورين وكثرت مراكبه وازدادت نشاطاته التجارية والعسكرية وأصبح يشكل أحد أهم القوى البحرية في حوض الخليج العربي (٢٣) .

أتاحت الخلافات التي أثارها بعض أبناء الإمام أحمد بن سعيد ضد والدهم منذ عام ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م ، ثم الصراع بين أولئك الأبناء على الحكم بعد وفاته عام ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م للقواسم الفرصة للتدخل في شؤون عمان السياسية والوقوف إلى جانب بعض أطراف النزاع ، حيث كان بعض أبناء الإمام أحمد وخاصة سيف وسلطان يتحالفون مع شيوخ القواسم في نزاعهم مع أبيهم ثم مع أخيهم الإمام سعيد بن أحمد (٢٤) . وقد استغل شيوخ القواسم تلك الخلافات ومشاركتهم فيها لتدعيم استقلالهم وتوسيع نفوذهم في سواحل الشمال وموانئه ، فاستولوا على بعض المناطق والبلدان مثل خورفكان ، دبا ، رأس مسندم ، رمس ، الجزيرة الحمراء ، أم القيوين ، عجمان والشارقة ، وسيطروا على طول ساحل الصير الواقع بين خورفكان والشارقة (٢٥) . وبذلك سيطر القواسم على مدخل الخليج العربي عند رأس شبه جزيرة مسندم وقشم وأخذوا ينافسون العمانيين والعتوب والبريطانيين وغيرهم ممن يعمل في نقل التجارة وتضاربت مصالحهم بشكل خاص مع مصالح حكام مسقط .

ج - ظهور مشيخات العتوب :

العتوب هم جماعات من العشائر والأسر أبرزها آل صباح وآل خليفة وآل جلاهمة هاجرت من داخل الجزيرة العربية إلى ساحل الخليج العربي خلال القرن الحادي عشر للهجرة / السابع عشر للميلاد (٢٦) . وبعد حوالي نصف قرن من التجوال بين سواحل وموانئ الخليج العربي استقرت تلك العشائر في موقع بلدة الكويت في بداية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر للميلاد ضمن نفوذ وتحت حماية شيوخ بني خالد ، حكام الأحساء (٢٧) . وقد تعلم العتوب خلال فترة تجوالهم في نواحي الخليج وبعد استقرارهم في الكويت ركوب البحر واقتنوا المراكب واشتغلوا بصيد السمك والغوص للبحث عن اللؤلؤ ونقل التجارة ، ونمت بلدتهم نمواً سريعاً . وقد وصف الرحالة الدانمركي نيبور NIEBUHR الذي مر بالخليج عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م ، القرين GRAIN (الكويت) بأنه ميناء بحري يشتغل سكانه على أكثر من ٨٠٠ مركب في صيد السمك واللؤلؤ والتجارة (٢٨) .

وفي عام ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م انفصل آل خليفة وغادروا الكويت جنوباً حيث استقروا في بلدة الزبارة الواقعة على الساحل الشمالي الغربي لشبه جزيرة قطر ، ثم انضم إليهم بعد فترة قصيرة بنو عمومتهم الجلاهمة (٢٩) . وتذكر المصادر أسباباً مختلفة لانفصال آل خليفة والجلاهمة ومغادرتهم الكويت إلى قطر أبرزها الضغوط التي بدأت تتعرض لها مستوطنة العتوب التجارية من قبل بني كعب شيوخ المحمرة، والخلاف الذي نشأ بين آل خليفة وآل صباح حول مشيخة البلدة (٣٠) . ويضيف السيد واردن F.WARDEN عضو مجلس حكومة بومبى سبباً مهماً وهو أن آل خليفة الذين كانوا يديرون الأمور التجارية في المستوطنة أرادوا الانتقال إلى موضع قريب من مغاصات اللؤلؤ حول جزيرة البحرين للسيطرة عليها وممارسة الغوص بأنفسهم وزيادة ثروتهم (٣١) . وكان العتوب المهاجرون في البداية يريدون الاستقرار في جزيرة البحرين فلما رفض حكام الجزيرة ذلك أرسوا مراكبهم في الزبارة - قبالة

البحرين - ضمن نفوذ شيوخ بني خالد (٣٢) .

نمت بلدة الزبارة بسرعة كبيرة بفضل توثيق العتوب لعلاقاتهم مع شيوخ بني خالد وقبائل شبه جزيرة قطر واهتمامهم الشديد بالغوص والمتاجرة باللؤلؤ وجعل بلدتهم مركزاً للتبادل التجاري بين مسقط وغيرها من موانئ الخليج وبين الأحساء ونجد ، وقد أسهم عدم فرض ضرائب استيراد أو تصدير في الزبارة في استقطاب عدد من تجار الخليج العربي إليها (٣٣) . لقد جعل العتوب من الكويت والزبارة مدناً أهلة بالسكان ومراكز تجارية نشطة وثرية ، فأشتغلوا بالتجارة والملاحة والغوص ، وملكوا المراكب من مختلف الأحجام وأخذوا ينقلون عليها السلع بين موانئ الخليج المختلفة ، واستفادوا من اضطراب الأوضاع في جنوب الخليج وبلاد فارس والعراق حيث انتقل إلى الكويت والزبارة عدد من تجار البصرة وغيرهم من تجار موانئ الخليج (٣٤) .

أثار ازدهار مشيخات العتوب وسيطرتها على قسم كبير من تجارة اللؤلؤ ونقل البضائع غيرة حكومة فارس وشيوخ الساحل الشرقي للخليج الخاضعين لنفوذها مثل شيوخ بني كعب وبوشهر وبندر ريق والقواسم وهرمز وغيرهم . وكان أشد أولئك الشيوخ تخوفاً من زيادة قوة العتوب ، الشيخ نصر آل مذكور شيخ بوشهر الذي كان يحكم البحرين أيضاً نيابة عن الفرس (٣٥) . لذلك ، أخذ حكام فارس والشيوخ التابعون لهم بزعامة شيخ بوشهر يشنون الهجمات على الزبارة والكويت منذ عام ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م ، لكن العتوب كانوا يتمكنون دائماً من صد تلك الهجمات ، مما أغرى شيخ الزبارة ، أحمد بن خليفة بالاستيلاء على البحرين في صيف عام ١١٩٧هـ/ ١٧٨٣م بمساعدة قبائل قطر والجلاهمة وعتوب الكويت وطرد الحامية الفارسية منها (٣٦) .

بالرغم من أن الشيخ أحمد بن خليفة لم يبادر إلى نقل مركز حكومته من الزبارة إلى البحرين ، إلا أن العتوب أضافوا إلى مناطق نفوذهم منطقة غنية بمواردها الاقتصادية وإمكاناتها التجارية . وقد عَدَّ المؤرخ آرنولد ولسون A. WILSON

استيلاء العتوب على البحرين من أهم أحداث الخليج في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وقارنه بأهمية ظهور سلطنة مسقط الذي حدث بعده بحوالي عشر سنوات (٣٧) . أما السيدان صاموئيل مانستي S. MANESTY وهارفرد جونز H. JONES ، وكلاء شركة الهند الشرقية في البصرة فقد ذكرا في تقريرهما عن تجارة الجزيرة العربية وبلاد فارس الذي كتباه في صيف عام ١٧٩٠م (١٢٠٤هـ) ، أن استيلاء العتوب على جزيرة البحرين مؤخراً واستيطانهم بها قد شجع تلك القبيلة على شراء مراكب قادرة على الإبحار من هناك إلى الهند واستخدامها في رحلات تجارية إلى تلك البلاد ، وبذلك أصبحوا قادرين على إيصال اللؤلؤ إلى سورات مباشرة واستيراد السلع الهندية والأوروبية الضرورية سنوياً إلى الزبارة والقطيف دون الاضطرار إلى دفع الضرائب التي كانت تفرض عليها عند المرور بمسقط (٣٨) . وقد خلص مانستي وجونز في تقريرهما إلى « أن الكويت والزبارة والبحرين . . . تخضع لحكومة العتوب الموحدة بزعامة الشيخين أحمد بن خليفة وعبدالله بن صباح اللذين كانا يتمتعان بمكانة مرموقة ونجحا في إحراز أهمية كبيرة لقبيلتهما التي تحظى الآن بالهيبة والاحترام في الخليج العربي وبالتالي أصبحت أقوى القبائل العربية المبحرة فيه . إن لدى العتوب مراكب كثيرة وكبيرة وقد سيطروا على كل تجارة النقل بين مسقط وموانئ الساحل العربي للخليج وعلى قسم مهم من تجارة النقل بين مسقط والبصرة . إن حكومة الكويت والزبارة والبحرين يمكن أن تقارن بحق من حيث الهيبة والحزم والعدل بحكومة مسقط » (٣٩) .

لقد أقام العتوب قوة تجارية وسياسية على الساحل الغربي للخليج العربي خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي واستقطبوا جزءاً مهماً من تجارة جنوب وشرق ذلك الممر المائي . وقد استفادت مستوطناتهم في الكويت والزبارة والبحرين من نمو الحركة التجارية التي نتجت عن نشاط الأوروبيين وغيرهم في حوض الخليج العربي خلال القرن الثاني عشر للهجرة / الثامن عشر للميلاد . كما استفادت أيضاً من اضطراب الملاحة في جنوب الخليج الناتج عن حروب القواسم

مع حكومة مسقط ، وتدهور الأوضاع الاقتصادية في العراق وخاصة البصرة بسبب طاعون عام ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م وحصار الفرس لتلك البلدة ثم استيلائهم عليها بين عامي ١١٨٩ - ١١٩٣هـ/ ١٧٧٥ - ١٧٧٩م ، وتدهور الأوضاع السياسية والتجارية في بلاد فارس بعد وفاة كريم خان الزندي عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م (٤٠) . كذلك اقتطع العتوب قسماً مهماً من تجارة النقل البحري بين الهند وموانئ الخليج العربي ، وأصبحت مستوطناتهم مراكز استيراد لبضائع الهند وأوروبا وحوض البحر الأحمر ونواحي الخليج وتوزيعها من هناك إلى الأحساء ونجد وبغداد ودمشق وحلب . وقد أسهم في نمو هذه المراكز تدني الضرائب المفروضة على السلع المارة بها (٤١) .

إن من أهم النتائج التي ترتبت على ظهور العتوب هي انتقال قسم كبير من النشاط التجاري والملاحي في حوض الخليج العربي إلى ساحله الغربي المتصل بنجد بعد أن كان ذلك النشاط مقصوراً على مدخل الخليج وساحله الشرقي . وأهم من ذلك أن ظهور وازدهار مستوطنات العتوب التجاري والملاحي كان على حساب موانئ جنوب وشرق الخليج وخاصة مسقط ، فقد اقتطع العتوب جزءاً كبيراً من تجارة النقل البحري في الخليج التي كان يسيطر عليها العمانيون وزادوا على ذلك بأن اقتنوا المراكب الكبيرة التي جلبوا عليها بضائع الهند مباشرة دون المرور بمسقط أو دفع الضرائب لها . ولما كان ازدهار نشاط مستوطنات العتوب الملاحي والتجاري متزامناً مع ظهور حكومة مسقط وتركيزها على النشاطات نفسها ، كان لا بد أن يحدث تنافس وصراع بين الطرفين وكان لا بد أن يحاول العمانيون استعادة امتيازاتهم السابقة والمحافظة على مصالحهم التجارية في الخليج .

د – ظهور الدولة السعودية في نجد وامتداد نفوذها إلى شرق جزيرة العرب:

ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية في نجد حوالي منتصف القرن الثاني عشر للهجرة / الثامن عشر للميلاد . وقد آزر تلك الدعوة الإصلاحية، الأمير محمد بن سعود حاكم الدرعية (١١٣٩ - ١١٧٩هـ/ ١٧٢٧ - ١٧٦٥م) . وقد توجت مجهودات الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود وابنه وخليفته الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود لنشر الدعوة وتطبيق مبادئها بتوحيد الأقاليم النجدية تحت مظلة حكومة مركزية في أواخر ذلك القرن ، هي الدولة السعودية (٤٢) .

كان يحكم واحتي الأحساء والقطيف وشرق جزيرة العرب آل حميد ، شيوخ بني خالد ، كما كان لآل حميد نفوذ على بعض قبائل وبلدان نجد . ولذلك كانوا أول من شعر بخطورة ظهور الدولة السعودية خارج نجد . قام شيوخ بني خالد بعدد من الحملات العسكرية ضد حكومة الدرعية ولمساعدة القوى المعارضة لها في نجد منذ عام ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م ، لكن جميع تلك الحملات كان مصيرها الفشل . وقد أسهم في فشل جهود شيوخ بني خالد للقضاء على الدولة السعودية - بالرغم من قوة نفوذهم في الأحساء ونجد - التنازع المستمر على السلطة بين زعمائهم (٤٣) .

والواقع أن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود الذي خلف أباه في الحكم (١١٧٩ - ١٢١٨هـ/ ١٧٦٥ - ١٨٠٣م) بدأ يمد نظره إلى الأحساء وسواحل الخليج العربي قبل أن يتم توحيد الأقاليم النجدية (٤٤) . لكن الهجمات الهادفة إلى الاستيلاء على المنطقة لم تبدأ إلا بعد سيطرته على نجد في بداية القرن الثالث عشر الهجري . وقد استمرت غزوات السعوديين ضد بني خالد والأحساء والقطيف وقراهما طوال العقد الأول من ذلك القرن حتى تمكنوا من كسر شوكة بني خالد وفرض نفوذهم على الأحساء والقطيف وسواحلهما . وقد قاد أغلب تلك

الغزوات الأمير سعود بن عبدالعزيز وإبراهيم بن عفيصان ، وقد أسهم في تسهيل مهمة السعوديين في الأحساء والقطيف ، تجدد النزاع بين روساء بني خالد على السلطة منذ عام ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م (٤٥) .

كان من الطبيعي أن يلتفت القادة السعوديون بعد سيطرتهم على الأحساء إلى مستوطنات العتوب التجارية في الكويت وقطر والبحرين ، لأن هذه المستوطنات - فيما عدا البحرين - كانت ضمن نفوذ شيوخ بني خالد الذين ورث السعوديون سلطتهم هناك . هذا بالإضافة إلى مرور أغلب تجارة الأحساء ونجد عن طريقها ، ولجوء بعض المعارضين لحكم السعوديين إليها (٤٦) .

برزت الدولة السعودية خلال العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري (١٧٩٦م/ ١٨٠٥م) كقوة سياسية وعسكرية عظيمة امتد نفوذها إلى أغلب أقاليم جزيرة العرب ووصلت جيوشها إلى شمال عمان وجنوب العراق وإلى الحجاز وعسير وأطراف اليمن . وأصبحت تلك الدولة قوة مرهوبة الجانب ذات أثر كبير على جميع الأقاليم والقبائل المجاورة لها وخاصة في حوض الخليج العربي . وقد تزامن بروز وتوسع الدولة السعودية مع ظهور وازدهار دولة البوسعيديين في عمان ومسقط والاتحاد القاسمي في شمال عمان ومشيخات العتوب التجارية في الكويت وقطر والبحرين . وقد أعطى هذا التطور السياسي والعسكري والتجاري ثقلاً وأهمية للساحل الغربي من حوض الخليج العربي . وبما أن الدولة السعودية وحكومة مسقط كانتا أقوى تلك الكيانات فكان لا بد أن يدخل الطرفان في تنافس وسباق للسيطرة على الأقاليم والقبائل والكيانات السياسية الواقعة بينهما على الساحل الغربي للخليج العربي .

امتداد النفوذ السعودي إلى مستوطنات العتوب :

أوكل الإمام عبدالعزيز إلى قائده الموثوق ، إبراهيم بن عفيصان مهمة إخضاع شبه جزيرة قطر ، بعد أن أسهم في تثبيت النفوذ السعودي في الأحساء (٤٧) . وكان إبراهيم بن عفيصان متحمساً لإخضاع مستوطنات العتوب للنفوذ السعودي . والواقع أن إبراهيم وأباه سليمان كانا قد هاجما قطر والكويت قبل أن تستقر الأمور للسعوديين في الأحساء (٤٨) . تزامن استقرار نفوذ السعوديين في الأحساء والقطيف وتطلعهم لمد ذلك النفوذ إلى مستوطنات العتوب مع انتقال الوكالة البريطانية من البصرة إلى الكويت خلال الفترة من شوال ١٢٠٧هـ - صفر ١٢١٠هـ/ مايو ١٧٩٣ - أغسطس ١٧٩٥م . لذلك أسهم حرس ومدفعية الوكالة المذكورة في صد هجوم إبراهيم بن عفيصان على الكويت عام ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٤م(٤٩) . ويفهم من كلام الوكيل المشارك ، بردجز أن الضغوط السعودية على الكويت كانت مستمرة - أثناء وجود الوكالة في تلك البلدة على الأقل (٥٠). وأن المسئولين في الوكالة كانوا يرسلون بين فترة وأخرى هدايا صغيرة للأمير سعود، وأنه كان هناك تفاهم جيدا بين السعوديين والوكالة ، وأن الأمير سعود كان يرغب في استمرار ذلك التفاهم ، لأنه كان قد كوّن تقديراً خاطئاً عن القوة التي أحضرها البريطانيون معهم إلى الكويت (٥١) .

بعد مغادرة الوكالة البريطانية الكويت ، أمر الإمام عبدالعزيز مناع أبا رجلين ، أحد رؤساء قبيلة زعب التابعة له بمهاجمة الكويت في عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧-١٧٩٨م . فرد عتوب الكويت بإرسال سرية لمهاجمة قبيلة زعب ، لكن أهل الكويت كانوا هم الخاسرون في المواجهتين (٥٢) . وقد وضع ثراء الكويت ، وموقعها الجغرافي - بين العراق وبين نجد والأحساء في طريق الحملات المتبادلة بين الطرفين - أهل تلك البلدة في موقف حرج . فكان كل من السعوديين وباشوات بغداد يحاول جذب عتوب الكويت ضد الطرف الآخر . فيذكر لوريمر ، أن الحاكم

السعودي أرسل حملة ضد الكويت في عام ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م لأن شيخ الكويت رفض دفع الإتاوة له ، ولما فشلت تلك الحملة فرح باشا بغداد بذلك وأرسل هدايا لشيخ الكويت (٥٣) . والمرجح أن شيوخ العتوب في الكويت تمكنوا من التوصل إلى تفاهم وعلاقة خاصة تربطهم بالسعوديين ضمنت لهم الاحتفاظ بإدارة بلدتهم وتفادى الهجمات السعودية بالرغم من موقع بلدتهم الدقيق بين نجد والعراق . وربما يدل على وجود مثل تلك العلاقة الخاصة - بالإضافة إلى عدم تكرر مهاجمة الكويت - طلب السعوديين من أهل الكويت المشاركة في غزواتهم البحرية ضد بعض نواحي الخليج (٥٤) .

كتب إبراهيم بن عفيصان إلى الإمام عبدالعزيز يستأذنه في غزو عتوب الزبارة، ولما وافق الإمام أخذ ابن عفيصان في فرض حصار على البلدة ، وذلك بمنع المترددين من السقاة والحطابة وغيرهم من الدخول إليها . كما تمكن من إخضاع بقية قرى وقبائل قطر والاستعانة بهم ضد عتوب الزبارة (٥٥) . ولما طال الحصار بدون نتيجة قرر ابن عفيصان أخذ الزبارة عنوة وشن الهجوم على تحصيناتها ، وعندما اشتد الضغط السعودي ، قرر عتوب الزبارة ، بزعامة شيخهم ، سلمان بن أحمد آل خليفة الانتقال بأموالهم وأولادهم إلى البحرين وتركوا البلدة خاوية على عروشها (٥٦) . لم يتمكن السعوديون من ملاحقة العتوب إلى البحرين لعدم امتلاكهم قوة بحرية ، لكنهم سيطروا على الزبارة وقطر التي بقى فيها قسم من العتوب هم الجلاهمة (٥٧) .

امتداد النفوذ السعودي إلى عمان الصير

بعد أن أحكم السعوديون قبضتهم على الأحساء وقطر ، بدأوا في إرسال جيوشهم بقيادة إبراهيم بن عفيصان ومطلق المطيري إلى عمان الصير حوالي عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م . وقد تمكن هذان القائدان من إجبار بني ياس على دفع الزكاة وقبول مرشدين يعلمونهم أمور دينهم (٥٨) . فلما علم بذلك النعيم - أهل البريمي

- طلبوا من الإمام عبدالعزيز البيعة ، فقبل منهم وأرسل لهم مرشدين ، وطلب منهم الاتصال بصقر بن راشد شيخ القواسم وإقناعه بقبول الطاعة ومبادئ الدعوة الإصلاحية ووعدهم بالمساعدة العسكرية في حالة رفضه الدعوة . وأخذ النعيم وقتب وبنو ياس في شن الغارات على صحار وشمال الباطنة وبلاد القواسم (٥٩). ولما عجز النعيم عن إخضاع القواسم أرسل إليهم الإمام عبدالعزيز قوة بقيادة مطلق المطيري الذي فرض حصاراً على رأس الخيمة اضطر الشيخ صقر بن راشد إلى طلب الصلح ، فتعاهد المطيري وشيخ القواسم على قبول الدعوة الإصلاحية والنفوذ السعودي حوالي عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م (٦٠) .

في أواخر عام ١٢١٤هـ/ أوائل ١٨٠٠م وصل القائد السعودي ، سالم بن بلال الحرق على رأس قوة حربية إلى واحة البريمي في شمال عمان . وجعل من تلك الواحة قاعدة لعملياته ، وبنى بها قلعة تحصنت بها قواته وأخذ في استقطاب قبائل البريمي والصير والظاهرة ، مثل النعيم والقواسم والظواهر والشوامس وبني قتب للدعوة الإصلاحية ، والإغارة بهم على الباطنة . وأرسل الحرق من قاعدته في البريمي إلى السيد سلطان ، حاكم مسقط يطلب منه قبول الدعوة الإصلاحية وسلطة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (٦١) . بادر السيد سلطان بالتوجه إلى جلفار (رأس الخيمة) للحصول على مساعدة شيخ القواسم ، صقر بن راشد أو على الأقل عقد هدنة معه ، لكي يتفرغ لصد غارات السعوديين . ثم اندفع هو وأخوه ، السيد قيس ، حاكم صحار على رأس قواتهما للهجوم على الحرق في البريمي . وبعد عدد من المناورات ومحاولة الطرفين الإستعانة بقواسم رأس الخيمة، تمكن الحرق من إلحاق الهزيمة بقوات السيد سلطان مما اضطره إلى التوصل إلى هدنة مع القائد السعودي وترك له السيطرة على واحة البريمي (٦٢) .

إن مما يثير الانتباه هنا ، أمران في غاية الأهمية ، أولهما النجاح السريع الذي حققه القادة السعوديون في عمان الصير والظاهرة والتفاف أغلب قبائل الإقليمين حولهم والقيام معهم في حرب البوسعيديين . أما الأمر الثاني فيتمثل في عدم

اهتمام السيد سلطان وأخيه السيد قيس بواحة البريمي وعدم حرصهما على إخراج الحامية السعودية منها ، بالرغم من الأهمية الاستراتيجية القصوى التي تتمتع بها تلك الواحة بالنسبة للباطنة والصير . فعندما تلقى السيد سلطان أول هزيمة على يد الحرق ، عقد معه هدنة وتركه يقيم مع حاميته في البريمي التي ظل هو وخلفاؤه من القادة السعوديين يتخذون منها قاعدة للهجوم على الأقاليم العمانية والتحكم فيها .

إن أقرب ما يمكن ان يقدم هنا من تفسيرات لنجاح القادة السعوديين في شمال عمان هي : الخلافات القبلية والمذهبية والسياسية بين البوسعيديين وأهل الباطنة وبين قبائل الصير والظاهرة والمناطق الداخلية ، مما دفع تلك القبائل إلى قبول دعوة القادة السعوديين والتحالف معهم ضد البوسعيديين . ومن ناحية أخرى ، فإن النشاطات الملاحية والتجارية التي كانت مسيطرة على اهتمام وتفكير السيد سلطان قد صرفته - على ما يبدو - عن الاهتمام بالقبائل والأقاليم الداخلية وإدراك مدى أهمية البريمي وقبائل الصير والظاهرة في صراعه مع السعوديين ، مما مكن السعوديين من استغلال تلك الظروف لصالحهم .

لا بد أن السيد سلطان قد أدرك خطورة امتداد نفوذ دولة قوية كالدولة السعودية إلى قبائل وموانئ وسواحل الخليج وعمان الصير والظاهرة على بلاده .

وبما أن حاكم مسقط كان يهتم بمصالحه التجارية أكثر من اهتمامه بقبائله ومناطقه الداخلية ، فقد خاف على مشروعاته الإقليمية والتجارية ، وتأكد أنه إذا ما أضاف السعوديون إلى قوتهم البرية ، قوة العتوب والقواسم البحرية ، فإن الخطر سوف لا يقتصر على تهديد مصالحه التجارية في حوض الخليج فقط ، بل سيمتد إلى موانئ ومناطق الباطنة . وبما أن نفوذ السعوديين لم يمتد بعد إلى البحرين ، ولم يثبت على الاتحاد القاسمي ، فقد قرر السيد سلطان ترك جبهة شمال عمان البرية وتركيز جهوده العسكرية للاستيلاء على البحرين .

كان السيد سلطان قد حاول الإستيلاء على البحرين في عام ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م ، فاحتجز ثلاثة من مراكب العتوب التجارية وأبحر لمهاجمة جزيرتهم ،

محتجاً بعدم دفعهم لضريبة العبور بمدخل الخليج . لكن العتوب أفشلوا ذلك الهجوم عندما اتصلوا بشيخ بوشهر وعرضوا عليه قبول السيادة الفارسية ودفعوا له الإتاوة (٦٣) . وبعد أن توصل حاكم مسقط إلى هدنة مع الحرق ، أعاد الكرة على البحرين للاستيلاء عليها قبل أن تقع في يد السعوديين . فتمكن من الاستيلاء على الجزر في عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م ، وأجبر العتوب على الخضوع له ودفع الإتاوة . لكن العتوب سرعان ما تمردوا عليه ، مما اضطره إلى إعادة الكرة عليهم خلال السنة نفسها . ولكي يضمن السيد سلطان ثبات نفوذه في البحرين ، عين ابنه سالماً والياً على الجزر وأقام معه حامية في قلعة عراد في جزيرة المحرق ، وأخذ معه عدداً من زعماء العتوب رهائن ، بينما لجأ الباقون إلى مستوطنات العتوب الأخرى في الزبارة والكويت (٦٤) .

توجه السيد سلطان بعد ذلك بأسطوله إلى الكويت وطلب من شيخها الخضوع له . ويعتقد كل من السيد واردن ولوريمر أن شيخ الكويت لا بد أن يكون قد استجاب لمطالب حاكم مسقط ، لأن ذلك الحاكم سرح كل قواته بعد ذلك مباشرة ولم يهاجم البلدة (٦٥) . ويبدو أن عتوب الكويت لم يرغبوا في الدخول في صراع مع السيد سلطان وفضلوا التوصل إلى تفاهم معه على أمل الاستعانة به ضد السعوديين في حالة تهديدهم للكويت . من ناحية أخرى ، لم يجرؤ السيد سلطان على مهاجمة بلدة الزبارة المواجهة للبحرين والتي لجأ إليها عدد أكبر من عتوب البحرين ، لأنه لم يرد نقض الهدنة التي عقدها مع الحرق ومن ثم استثارة السعوديين وإعطائهم الذريعة لمهاجمة الباطنة .

عاد عتوب البحرين إلى الزبارة ، مستوطنتهم القديمة وخضعوا لسلطة السعوديين ، وطلبوا من الإمام عبدالعزيز المساعدة لاسترداد البحرين . فوافق الإمام على تقديم المساعدة المطلوبة ، لأن ذلك سيساعد على امتداد النفوذ السعودي إلى جزر البحرين ، وفي الوقت ذاته ، يبعد نفوذ حاكم مسقط عن العتوب . في أواخر عام ١٢١٦هـ/ بداية ١٨٠٢م ، تمكن العتوب بمساعدة السعوديين وأتباعهم

في قطر من طرد السيد سالم والحامية العمانية من البحرين والاستيلاء عليها ، وبهذا مد السعوديون نفوذهم إلى جزر البحرين بمساعدة قوة العتوب البحرية ، وأخضعوا العتوب لسلطتهم وانتزعوا تلك الجزر المهمة وحكامها العتوب من قبضة حاكم مسقط (٦٦) .

لم يستطع السيد سلطان تقبل خسارته لجزر البحرين وانضواء العتوب تحت السيادة السعودية ، فقرر في صيف عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م أن يصلح علاقته بالقواسم ويبعدهم عن السعوديين ويتحالف معهم للاستعانة بهم على مهاجمة البحرين والزبارة وإخضاع العتوب . ولكي يضمن نجاح مشروعه ، طلب المساعدة العسكرية من حاكم شيراز وتابعه شيخ بوشهر ، وقاد بنفسه حملة بحرية قوية للهجوم على البحرين ، لكن حاكم مسقط فشل في مساعيه المذكورة . فلم يستطع إقناع القواسم بالتحالف معه ضد العتوب ، لأن علاقة السعوديين بهاتين القوتين البحريتين أصبحت قوية في هذا الوقت . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، كان قائد السعوديين في قطر ، إبراهيم بن عفيصان يساعد العتوب في الدفاع عن البحرين في الوقت الذي كان قائدهم الآخر ، سالم الحرق ، يعمل من قاعدته في البريمي على توطيد نفوذهم على القواسم وقبائل شمال عمان والظاهرة ، ويغزو بهم الباطنة ، مما أجبر السيد سلطان على وقف عملياته الحربية والعودة إلى مسقط للدفاع عن مناطقه الشمالية (٦٧) .

تمكن السعوديون مع نهاية عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م من السيطرة على جميع قبائل الساحل الغربي للخليج . فقد أكد السيد واردن " أنهم (السعوديون) في هذا الوقت أخضعوا لنفوذهم الإسمي جميع الساحل الممتد من نهر البصرة إلى دبا التي تمثل الحد الفاصل بين مناطق حكومة مسقط ومناطق القواسم " (٦٨) . وهكذا نجح الإمام عبدالعزيز في كسب السباق الذي كان دائراً بينه وبين السيد سلطان على ولاء قبائل جنوب غرب الخليج العربي البحرية . ولم يقتصر هذا النجاح على حرمان السيد سلطان من إضافة قوة القواسم والعتوب البحرية إلى أسطوله الكبير ، بل إن

السعوديين حالوا بين السيد سلطان وبين تحقيق طموحاته الإقليمية والتجارية في الخليج وحرموه من تحقيق رغبته الشديدة في السيطرة على جزر البحرين . وإذا ما أضيف إلى ذلك نجاح الحرق في كسب ولاء قبائل الصبر والبريمي والظاهرة وغيرهم من القبائل العمانية وتهديد عمان والباطنة تهديداً مباشراً ، تبين بوضوح ما آلت إليه أوضاع حاكم مسقط من حرج شديد ، مما اضطره إلى البحث عن مساعدة خارجية .

في ربيع عام ١٢١٦هـ / ١٨٠٢م قام السعوديون بغزوتهم المشهورة ضد مدينة كربلاء ، التي أثارت غضب كل من العثمانيين والفرس . وفي السنة التالية ، انتقض الصلح الذي كان معقوداً بين السعوديين والشريف غالب بن مساعد ، شريف مكة ، وأخذت القوات السعودية تزحف تجاه المدينة المقدسة (٦٩) . أطمعت هذه التطورات السيد سلطان في تعاون العثمانيين وشريف مكة معه ضد عدوهم المشترك ، وخاصة أنه تلقى في هذا الوقت عروضاً بالمساعدة من العثمانيين والفرس في حالة قيامه بمهاجمة السعوديين (٧٠) . غادر السيد سلطان مسقط في رمضان ١٢١٧هـ / يناير ١٨٠٣هـ متوجهاً إلى مكة لأداء نسك الحج . ويبدو أنه كانت تراوده فكرة التنسيق مع العثمانيين والشريف غالب ، الذين كانوا يواجهون - مثله - ضغوط السعوديين في غرب الجزيرة العربية . وهناك شهد السيد سلطان دخول الأمير سعود بن عبدالعزيز مكة ظافراً على رأس الآلاف من أتباعه . كما شهد ، كذلك ، مدى ضعف الشريف غالب والعثمانيين وعجزهم عن التصدي للقوات السعودية ، وأدرك أن شريف مكة ربما كان أحوج منه للمساعدة . ولذلك ، عندما طلب الشريف غالب من السيد سلطان المساعدة العسكرية ، وعده بإرسال مقادير من المال والسلاح والذخيرة وفرقة من المقاتلين (٧١) . وربما كان دافع حاكم مسقط إلى تقديم هذا العون ، هو مساعدة الشريف على الصمود في وجه السعوديين مما يسهم في تخفيف ضغوطهم على الجبهة العمانية .

عاد السيد سلطان من الحجاز إلى بلاده يائساً من قدرته على صد هجمات

السعوديين بمفرده ، ومن قدرة العثمانيين وشريف مكة على مساعدته على ذلك . وقد وجد حاكم مسقط عند عودته إليها أن ابن أخيه ، السيد بدر بن سيف ، قام أثناء غيابه ، بمحاولة للاستيلاء على قلعة المدينة ، ولما فشلت محاولته هرب إلى عجمان ثم من هناك إلى الدرعية حيث تحالف مع الإمام عبدالعزيز . كذلك استغلت القوات السعودية في البريمي وحلفاؤها من أهل الظاهرة ، غياب السيد سلطان وأخذوا يتوغلون في الباطنة (٧٢) لذلك قرر حاكم مسقط التوصل إلى هدنة مع السعوديين لكي يتمكن خلالها من تدبير أموره ، فأرسل وفداً إلى الدرعية، نجح في عقد هدنة بين الطرفين مدتها ثلاث سنوات ، تعهد حاكم مسقط بموجبها بدفع زكاة سنوية مقدارها ١٢٠٠٠ ريال (دولار ماريا تيريزا) وقبول إقامة وكيل سياسي سعودي وجماعة من الوعاظ في مسقط لنشر الدعوة الإصلاحية(٧٣) .

أغضبت المساعدات التي أرسلها السيد سلطان لشريف مكة - بالرغم من قلتها وضعف جدواها - الإمام عبدالعزيز ، فاعتبر ذلك نقضاً للهدنة ، وأعلن الحرب على حاكم مسقط في صيف عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م ، وأرسل إلى شيوخ القواسم وشيوخ عتوب البحرين والكويت يأمرهم بمهاجمة سواحل ومراكب مسقط . ولم يقبل الحاكم السعودي منهم الاعتذار بحلول موسم الغوص وانشغال أتباعهم به وعدم رغبتهم في تفويته . كذلك أصدر الإمام عبدالعزيز أوامره إلى سالم الحرق ، قائده في البريمي للقيام بهجوم بري واسع على المناطق العمانية (٧٤) .

إن من اللافت للنظر ، عدم ذكر المصادر السعودية للهدنة والهجوم المشار إليهما أعلاه ، بينما تشير المصادر العمانية إلى الهجوم فقط . أما المصادر البريطانية فتذكر الهدنة والهجوم لكنها تجعل طلب السيد سلطان للهدنة نتيجة للهجوم ، ولا تجد تفسيراً لنقض السعوديين للهدنة سوى رغبتهم في الفراغ من أمر الحجاز ثم إرسال الإمدادات إلى قائدهم في البريمي لإخضاع عمان (٧٥) . وإذا كان السيد سلطان قد بعث مساعداته إلى جدة بعد عودته إلى عمان ، كما يذكر كيلي ، فإن

عودة حاكم مسقط إلى بلاده ثم إرساله تلك المساعدات ووصولها إلى جدة ثم وصول أخبارها إلى الدرعية ، لا بد أن يكون قد استغرق ما بين ثلاثة إلى أربعة أشهر ، وذلك يوافق منتصف صيف عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م ، وهو الوقت الذي تحدده المصادر البريطانية لصدور أوامر الإمام عبدالعزيز لكل من القواسم والعتوب والحرق لشن الهجوم على عمان (٧٦) . وعلى هذا ، فلا بد أن يكون الحاكم السعودي قد أمر بشن ذلك الهجوم البري - البحري بعد علمه بوصول المساعدات العمانية الى الحجاز واعتقاده أن ذلك ناقض للهدنة ورغبته في معاقبة حاكم مسقط . أما الشروط التي تعهد السيد سلطان بقبولها قبل أن يتعرض لهجوم واسع من قبل السعوديين ، فيمكن فهمها في ضوء اهتماماته الكبيرة بالتجارة وإقليم الباطنة وموانئها وإهماله للمناطق والقبائل الداخلية ، ورغبته في وضع حد للضغوط التي تأتي من ناحية البر لكي يتفرغ لأمور أكثر أهمية في نظره .

أبحرت مراكب العتوب والقواسم لمهاجمة مراكب وسواحل مسقط ، وبينما تمكن السيد سلطان من إلحاق الهزيمة بأسطول عتوب البحرين ، استطاع القواسم النزول في جزيرة قشم التابعة لمسقط (٧٧) . وفي الوقت ذاته كان الحرق وحلفاؤه من أهل الظاهرة والصير يتوغلون في مناطق الباطنة ، وتمكنت فرقة منهم من الوصول إلى ضواحي بلدة السويق الواقعة على بعد يومين من بلدة بركة ، المقر الصيفي لحاكم مسقط . أما الحرق وقواته الرئيسة فقد فرضت الحصار على صحار . ولما علم السيد سلطان بذلك أمر بعض القبائل الموالية له بالدفاع عن السويق ، لكن هؤلاء تلقوا هزيمة ساحقة على يد القوات السعودية في وادي الحيملي (٧٨) .

عقد السيد سلطان مجلساً عسكرياً في بركة ضم زعماء البوسعيديين وزعماء القبائل العمانية ، وأبلغهم مدى شدة ضيقه وحزنه لهزيمة قواته وتفرق حلفائه عنه وكثرة أعدائه المحاربين له ، وعجزه عن مواجهتهم ، وحصار القوات السعودية لأخيه السيد قيس في صحار . ولما تأكد من استعدادهم للوقوف معه طلب منهم جمع قواتهم وواعدهم بلدة الخابورة لإنقاذ بلدة صحار وإخراج القوات السعودية

من الباطنة . وبعد أن اجتمعت القوات العمانية في الخابورة ، وصلت الأخبار إلى الحرق وأتباعه بمقتل الإمام عبدالعزيز في الدرعية ، فرفع الحصار عن صحار وعاد إلى البريمي ثم توجه من هناك إلى نجد . وقد اكتفى السيد سلطان بهذه النتيجة فسمح لقواته بالتفرق وعاد هو إلى مسقط (٧٩) . وعندما علم العتوب وشيخ القواسم الجديد ، سلطان بن صقر ، بمقتل الإمام عبدالعزيز وعودة الحرق إلى نجد ، اعتقدوا أن سلطة السعوديين قد انحسرت عن جنوب الخليج وشمال عمان وخافوا من صولة السيد سلطان ، فسارعوا إلى مصالحته وتسوية أمورهم معه ، وقد حذا حذوهم الشيخ حميد بن ناصر الغافري كبير زعماء الظاهرة (٨٠) .

برهن السيد سلطان مرة أخرى ، على عدم اهتمامه بالمناطق والقبائل الداخلية عندما صرف قواته الكبيرة بمجرد علمه بزوال لخطر المباشر ، في الوقت الذي كان بإمكانه انتهاز فرصة وفاة الحاكم السعودي وانسحاب قائد حاميته من البريمي واستخدام تلك القوات للاستيلاء على تلك الواحة المهمة وحرمان السعوديين من قاعدتهم العسكرية التي تمكنوا بفضل موقعها الاستراتيجي من فرض نفوذهم في الصير والظاهرة ومهاجمة الباطنة ، وذلك مما يساعد حاكم مسقط على فرض سلطته على قبائل المنطقة والحيلولة دون عودة النفوذ السعودي إليها .

أما مسارعة شيوخ القواسم والعتوب والظاهرة إلى مصالحة السيد سلطان وتسوية أمورهم معه ، فتدل دلالة واضحة على ضعف ولاء هؤلاء الشيوخ للدولة السعودية وخوفهم من حاكم مسقط ورغبتهم في عدم انقطاع الصلة بينهم وبينه ، مما يقوي الاعتقاد بأن من أهم دوافع هؤلاء الشيوخ لموالاة السعوديين والتحالف معهم ، هو الاستعانة بالقوة السعودية لإبعاد نفوذ وهمينة حكام مسقط عنهم . ولذلك سارعوا إلى استرضاء السيد سلطان بمجرد علمهم بوفاة الحاكم السعودي وعودة قائده إلى نجد . والواقع أن القواسم بشكل خاص لم يبذلوا جهداً كبيراً في الهجوم الذي أمر به الحاكم السعودي ضد مسقط متعللين بعدم رغبتهم في ترك موسم الغوص .

أخافت الحملات التي شنها السعوديون في شرق وغرب الجزيرة العربية خلال عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م القوى المجاورة كالعثمانيين والفرس والبريطانيين ، فاتصل السيد سلطان بكل من حكومة الهند البريطانية والعثمانيين للتنسيق معهم لمواجهة الدولة السعودية . وبينما لم تنجح محاولاته مع حكومة الهند ، أبدى باشا بغداد رغبة أكيدة في التعاون معه للقضاء على السعوديين (٨١) . وقد بدا للسيد سلطان، بعد توقف الحملات السعودية على المناطق العمانية وعودة الحرق إلى نجد ، أن القواسم والعتوب وأهل الظاهرة قد تخلصوا من تبعيتهم للسعوديين ، وأن الفرصة أصبحت مهيأة لاجتذابهم إلى جانبه وربما فرض نفوذه عليهم . كذلك أراد انتهاز فرصة انسحاب الحرق وقسم من حاميته إلى نجد ، وتوصل شيوخ القواسم والعتوب والظاهرة إلى سلام معه ، وانشغال الإمام سعود - الذي خلف أباه في الحكم - بحملاته في شمال الجزيرة وغربها ، وإصدار السلطان العثماني أوامره لباشوات بغداد والشام لإعداد حملة عسكرية ضد السعوديين خلال عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م ، فأبحر من مسقط على رأس أسطول كبير ، طاف به في نواحي الخليج لإظهار قوته البحرية في المنطقة ، ثم توجه من هناك إلى البصرة للتأكد من مدى الاستعدادات العسكرية التي وعد باشا بغداد بتجهيزها للعمل ضد السعوديين(٨٢).

لم يجد حاكم مسقط الاستقبال اللائق به، ولا الاستعدادات العسكرية التي وعد بها في البصرة ، فعاد خائباً غاضباً إلى جنوب الخليج . وعندما اقترب أسطوله من جزيرة قشم ، نزل من فرقاطته الكبيرة المسماة " جنجاور " إلى مركب للنزول بواسطته إلى ميناء باسيدو . وعندما ابتعد المركب عن الأسطول ، هاجمته ثلاث مراكب تابعة لقواسم رأس الخيمة ، وخلال تبادل إطلاق النار بين الجانبين ، قتل السيد سلطان برصاص أحد المهاجمين في شعبان ١٢١٩هـ/ نوفمبر ١٨٠٤م(٨٣).

نتج عن مقتل السيد سلطان اضطراب سياسي واسع في عمان وجنوب

الخليج، حيث أخذ أبناؤه وأخوته وأبناء إخوته يتصارعون على السلطة . وقد انقسمت الأحزاب والقبائل العمانية في تأييدها لأولئك المتصارعين ، وقد خلف السيد سلطان في حكومة مسقط ولداه سالم وسعيد اللذان تولى الوصاية عليهما -بسبب صغر سنهما- الشيخ محمد بن ناصر الجبري ، أحد أخوال أبيهما (٨٤) . وفي الوقت ذاته هب القواسم وحلفاؤهم ، بنو معين ، حين سمعوا بمقتل السيد سلطان للسيطرة على مدخل الخليج ، فاستولوا على ممتلكات حكومة مسقط في جزيرة قشم وهرمز ، وميناب وبندر عباس ، وأصبحوا يتحكمون في مضيق هرمز ومدخل الخليج ويستطيعون ضرب أي مركب تدخل أو تغادر ذلك الممر المائي(٨٥).

جمع السيد قيس بن أحمد - أخو السيد سلطان وحاكم صحار - حوله عدداً من إخوته وزعماء آل بوسعيد وشيوخ القبائل وأتباعهم وأخذ في نهاية عام ١٢١٩هـ/ بداية ١٨٠٥م ، يستولي على حصون وبلدان الباطنة وهو في طريقه إلى مسقط للاستيلاء عليها من أبناء أخيه . وعندما اشتد حصار السيد قيس لمسقط ، قرر السيدان سعيد وسالم وعمتهما السيدة موزة والوصي محمد بن ناصر الجبري الاستعانة بابن عمهم ، السيد بدر بن سيف ، حليف السعوديين (٨٦) . وقد سبقت الإشارة إلى فشل محاولة السيد بدر للاستيلاء على حصون مسقط ولجوئه إلى الدرعية ، وكان الإمام عبدالعزيز قد أمر القبائل التابعة له في شمال عمان بمساعدته ، وبعد فشل محاولتين لغزو عمان ، عاد السيد بدر إلى الدرعية لمقابلة الإمام سعود وطلب مساعدته . وحين قتل عمه السيد سلطان ، كان السيد بدر في الزبارة يعد العدة للهجوم على عمان (٨٧) .

اتفق استنجاد أبناء السيد سلطان بالسيد بدر مع خططه للاستيلاء على السلطة في مسقط ، فغادر الزبارة على وجه السرعة إلى مسقط ، حيث وجد أبناء عمه على وشك الاستسلام لعمهم ، السيد قيس . فبادر إلى الاستعانة بحليفه الإمام سعود الذي أمر الحامية السعودية في البريمي وحلفاءه من أهل الظاهرة بمهاجمة صحار .

فلما علم السيد قيس بمحاصرة القوات السعودية لبلدته ، توصل إلى صلح سريع مع أبناء أخيه وعاد للدفاع عنها (٨٨) . لم ييأس السيد قيس من الاستيلاء على الباطنة ومسقط . فعاد بعد عدة أسابيع لحرب أبناء إخوته واستولى على مطرح وفرض الحصار على مسقط ، فاضطر السيد بدر إلى الاستنجاد بالسعوديين مرة أخرى . أمر الإمام سعود حاميته في البريمي بقيادة محمد بن عبدان ، وأهل الظاهرة بقيادة الشيخ حميد بن ناصر الغافري وقبائل الصير والشمال مثل بني ياس والمناصير وبني راسب وغيرهم ، بمهاجمة الباطنة . كما أمر الحاكم السعودي عتوب البحرين والزبارة بالتوجه بأسطولهم لمساعدة السيد بدر . أدرك السيد قيس عدم قدرته على مواجهة تلك الجيوش التي أحاطت به من ناحيتي البر والبحر ، فاضطر إلى التوصل إلى صلح آخر مع أبناء إخوته وتخلى عن مطرح وعاد إلى صحار (٨٩) .

تجدد القتال مرة ثالثة بين السيد قيس وأبناء إخوته وأتباعهم في صيف عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م حيث استغل السيد قيس هذه المرة انشغال السيد بدر في استعادة موانئ وجزر مدخل الخليج من القواسم وحلفائهم ، وتحالف مع القواسم وحليفهم ملا حسين ، حاكم قشم ، وبدأ في مهاجمة الباطنة . ولم يكن أمام السيد بدر سوى الاستعانة مرة ثالثه بحامية السعوديين في البريمي والقبائل الموالية لهم في الصير والظاهرة والعتوب . فجاءت لنجدته الحامية السعودية بقيادة ابن معيقل وقبائل الظاهرة والشرقية بقيادة حميد بن ناصر الغافري وعيسى بن صالح الحارثي ، وفرق من العتوب وبني ياس . ومرة ثالثة ، فشل السيد قيس في الاستيلاء على مسقط ، واضطر إلى الانسحاب إلى صحار (٩٠) .

أدت المساعدات العسكرية المتكررة التي قدمها الإمام سعود للسيد بدر إلى إفشال محاولات السيد قيس للسيطرة على مسقط وصمود السيد بدر لضغوط منافسيه الكثيرين . كذلك أدت تلك المساعدات إلى توثق علاقة السيد بدر بالسعوديين واعتماد سلطته على دعمهم وإلى امتداد النفوذ السعودي إلى الباطنة ومسقط . وقد دفع ذلك الإمام سعود إلى اعتبار السيد بدر كأحد أمرائه الذين تجب

عليهم الطاعة وإرسال الزكاة السنوية إلى الدرعية . ولكي يحافظ الإمام سعود على ثبات نفوذه في مسقط عين وكيلاً سياسياً يقيم في مسقط وجماعة من المعلمين والوعاظ يقومون بنشر مبادئ الدعوة الإصلاحية وتطبيقها في البلدة ، إضافة إلى إقامة حامية سعودية في بركة بالقرب من مسقط . وقد بعث الحاكم السعودي فيما بعد برسالة للسيد بدر يأمره فيها بالقيام بواجب الجهاد في نواحي الهند (٩١) .

كان من أهم النتائج التي ترتبت على غياب السيد سلطان عن الساحة السياسية والعسكرية في جنوب الخليج ، امتداد النفوذ السعودي إلى مسقط وسيطرة القواسم على مدخل الخليج العربي ، وقد تمخض هذا الوضع الجديد عن تغييرات جذرية في حسابات القوى المختلفة في المنطقة ، وبالتالي تبدل ولاءاتها بشكل غريب - ولم يستطع حتى السيد فرانسيس واردن ، سكرتير وعضو مجلس حكومة بومبى المعاصر لتلك الأحداث فهم دوافع تلك التبدلات (٩٢) .

لقد شعر العتوب ، الذين كانوا أكثر من غيرهم تعرضاً لضغوط الدولة السعودية - بسبب قرب مستوطناتهم من الأحساء ونجد - بثقل وطأة السلطة السعودية عليهم . كما رأوا في نفوذ الدولة السعودية في مسقط ، وسيطرة القواسم على مدخل الخليج تهديداً خطيراً ، ليس لمصالحهم التجارية فقط ، بل لاستقلالهم وربما لبقاءهم . لقد اعتقد العتوب أن القواسم حلفاء طبيعيون للسعوديين بسبب عداوة القواسم القديمة لحكومة مسقط وحاجتهم الماسة للدعم السعودي ضد تلك الحكومة ، كما أصبحوا متأكدين من أن زيادة النفوذ السعودي في مسقط ، وسيطرة حلفائهم القواسم على مدخل الخليج ستؤدي حتماً إلى انفراد السعوديين بالسلطة على مدخل الخليج وسواحله الجنوبية والغربية ، وبالتالي إلى إحكام قبضتهم على مستوطنات العتوب . من ناحية أخرى ، اعتقد العتوب أن الدولة السعودية التي تفتقر إلى القوة البحرية يمكنها الآن استخدام قوة حلفائها القواسم البحرية للضغط عليهم وإخضاعهم ، وقد ذكر صاحب لمع الشهاب أن الإمام عبدالعزيز كان قد طلب من القواسم الهجوم على البحرين وتعهد لهم بالمساعدة العسكرية ، لكن

القواسم اعتذروا عن ذلك ، واقترحوا عليه أن يكون التغلغل إلى الجزيرة سلمياً عن طريق التردد على البحرين والمتاجرة مع أهلها ونشر الدعوة بينهم (٩٣) . ولهذا عرض العتوب في عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م على السيد بدر - عندما علموا بعزمه على حرب القواسم والقيام بحملة لاستعادة جزر وموانئ مدخل الخليج منهم - الاشتراك معه في حملته ، فأرسلوا إليه مبعوثاً يدعى رحمة بن سنود لهذا الغرض ووافقوا على خطة عرضها عليهم حاكم مسقط لمهاجمة القواسم ودفعوا له رسوم العبور التي كانوا يرفضون دفعها في الماضي (٩٤) .

لقد هدف العتوب من وراء ذلك - على ما يبدو - إلى الحد من تعاظم قوة الدولة السعودية وهيمنتها عليهم وعلى كل القوى السياسية في غرب الخليج ، وتخليص مدخل الخليج من سيطرة القواسم والحد من ازدياد قوتهم البحرية التي ربما يستخدمها السعوديون في المستقبل لإخضاع العتوب أو القضاء عليهم . كما هدف العتوب أيضاً إلى الحيلولة دون الإخلال بالتوازن بين قوى المنطقة الذي لم يكن في صالح استقلال مستوطناتهم . ولكي يتفادوا الخضوع للسعوديين أو التعرض لانتقامهم طلبوا من حكومة بومبى في السنة نفسها ، أن تسندهم بسفينة حربية أو سفينتين للاستعانة بهما ضدهم . وبالرغم من توصية ديفد سيتون DA- VID SETON المقيم البريطاني في مسقط لحكومته بضرورة تشجيع هذا التحالف للحيلولة دون سيطرة السعوديين على مسقط ، إلا أن حكومة بومبى لم تستجب لطلب العتوب (٩٥) .

أما القواسم فقد تراجع حماسهم للانقياد لأوامر الحاكم السعودي منذ عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م ، فلم يستجب لأوامر الإمام عبدالعزيز في صيف ذلك العام بمهاجمة مناطق ومراكب مسقط إلا قسم منهم اقتصر نشاطه على مهاجمة المراكب التجارية في البحر والنزول في جزيرة قشم ، متذرعين بالانشغال في الغوص(٩٦). وفي تلك السنة ، خلف الشيخ سلطان بن صقر أباه في مشيخة الاتحاد القاسمي (٩٧) . وعندما علم الشيخ سلطان بمقتل الإمام عبدالعزيز في

خريف السنة نفسها ، سارع إلى مصالحة السيد سلطان . لكن القواسم وحلفاءهم هبوا بمجرد سماعهم بمقتل حاكم مسقط في آواخر عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م للاستيلاء على الجزر والموانئ المشرفة على مدخل الخليج ، ويبدو أنهم لم يقوموا بذلك خدمة للدولة السعودية ، بقدر ما كان سعياً لتحقيق أهدافهم القديمة الرامية إلى السيطرة على مدخل الخليج ومنافسة حكومة مسقط .

وعندما اشتد النزاع بين السيد قيس وأبناء إخوته ، بدر وسالم وسعيد ، خلال عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م لم يظهر للقواسم دور واضح فيه بالرغم من قربهم من بؤرة النزاع وامتلاكهم الدوافع الكافية للتدخل فيه ، وتتابع أوامر الإمام سعود إلى القبائل الموالية له في جنوب الخليج بالوقوف إلى جانب السيد بدر بن سيف في صراعه مع عمه . بل إننا نجد القواسم في آخر مراحل ذلك الصراع يقفون إلى جانب السيد قيس ضد ابن أخيه بدر حليف السعوديين (٩٨) .

لقد تحالف القواسم مع الدولة السعودية ومنحوها ولاءهم وهاجموا معها حكومة مسقط للاستعانة بها للحد من محاولات تلك الحكومة فرض نفوذها عليهم من ناحية ، والسيطرة على مدخل الخليج العربي ، من ناحية أخرى . لكن تحالف السيد بدر مع الإمام سعود ، والدعم الذي منحه ذلك الإمام لحاكم مسقط الجديد ، وضع حداً لطموحات شيخ القواسم وآثار غيرته وأقنعه بأن الإمام سعود لن يدعمه في المستقبل ضد حكام مسقط أو يساعده في السيطرة على مدخل الخليج . بل إن هذا التحول في مسار الأمور في عمان قد آثار مخاوف الشيخ سلطان بن صقر على زعامته واستقلاله ، ولهذا لم يشترك مع أتباع السعوديين الآخرين في دعم السيد بدر ضد عمه السيد قيس . وبدا للشيخ سلطان أن وجود حاكم تقليدي مثل السيد قيس في مسقط خير للقواسم من وجود السيد بدر الذي كان يسعى إلى الاستمرار في سياسة التوسع الإقليمي والتجاري التي كان يسير عليها عمه السيد سلطان ، والتي كان يقاومها القواسم .

كان أهل الظاهرة وزعيمهم الشيخ حميد بن ناصر الغافري من أبرز حلفاء

الدولة السعودية ، وقد ساهموا مساهمة كبيرة في دعم الحامية السعودية في البريمي وامتداد النفوذ السعودي إلى عمان . كما كانوا يشكلون قسماً مهماً من القوات التي قامت بدعم السيد بدر بن سيف ضد عمه السيد قيس استجابة لأوامر الإمام سعود . لقد تحالف الشيخ حميد بن ناصر الغافري مع السعوديين مدفوعاً بالرغبة في التخلص من سلطة حكام عمان ، فلما بدأ ميزان القوى في عمان يتحول لصالح السيد بدر وحلفائه السعوديين ، أدرك ذلك الشيخ أن بدراً والسعوديين سيسيطرون على كل عمان وأن ذلك سيفقده حريته واستقلاله . فعمد إلى التخلي عن السيد بدر في آخر مراحل نزاعه مع عمه قيس وأمر القبائل المتحالفة معه بالتخلي عن السيد بدر بحجة " أن بدراً يحاول ملك عمان كله ، وانقياد أهل الظاهرة والشمال له بالوهابية ، لما رآهم مائلين إليه كل الميل " (٩٩) .

الخاتمـــة

شهد العقدان الأولان من القرن الثالث عشر الهجري / العقدان الأخيران من القرن الثامن عشر للميلاد تقريباً ، بروز أربع قوى سياسية على ساحل الجزيرة العربية الشرقي هي : حكومة مسقط والدولة السعودية والاتحاد القاسمي ومشيخات العتوب . وقد أعطى بروز تلك القوى ، والنشاط السياسي والتجاري الذي نتج عنه ، أهمية وحوية وثقلاً لم يحظ به ذلك الساحل منذ فترة طويلة . وخلال السنوات الأخيرة من الفترة المذكورة دخلت الدولة السعودية وحكومة مسقط في تنافس لفرض النفوذ على القواسم والعتوب وغيرهما من قبائل جنوب غرب الخليج العربي .

لقد حرص قادة الدولة السعودية على نشر دعوتهم الإصلاحية ومد نفوذهم السياسي على قبائل وموانئ جنوب غرب الخليج وعمان ، بينما حرص حكام مسقط على تطوير وتوسيع تجارتهم عن طريق السيطرة على تجارة الخليج وفرض نفوذهم على تلك القبائل والموانئ نفسها للقضاء على منافستها لهم . وفي حين أبدى البوسعيديون اهتماماً كبيراً بالملاحة والتجارة وأهملوا الأقاليم والقبائل الداخلية وارتكزت قوتهم على اسطولهم الكبير ، ارتكزت قوة السعوديين على البر ولم يطورا لأنفسهم قوة بحرية بالرغم من سيطرتهم على سواحل طويلة . لقد كوَّن القواسم والعتوب قوتين بحريتين تجاريتين منافستين للبوسعيديين ، وقد سعى السيد سلطان بن أحمد لفرض نفوذه عليهما للقضاء على تلك المنافسة . أما الدولة السعودية فقد رأت في فرض نفوذها على القواسم والعتوب إضافة قوة بحرية إلى قوتها البرية تستطيع بواسطتها نشر دعوتها الإصلاحية وتوسيع نفوذها والضغط بها على حكومة مسقط .

بادر السيد سلطان في عام ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م عندما علم بامتداد النفوذ السعودي على العتوب والقواسم إلى مهادنة القواسم - الذين كانوا في صراع دائم

معه - لكي يتمكن من الاستيلاء على جزر البحرين قبل أن يمتد النفوذ السعودي إليها . وقد قام السيد سلطان بعدة محاولات بعد ذلك لفرض نفوذه على العتوب والقواسم وإخراجهم من دائرة النفوذ السعودي قبل مقتله على يد القواسم في عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م ، لكن جميع تلك المحاولات باءت بالفشل بسبب رفض القواسم والعتوب لهيمنة البوسعيديين من ناحية ، ومساندة الدولة السعودية لهم من ناحية أخرى . وكان لضغوط حامية السعوديين في البريمي وقبائل الشمال والظاهرة الموالية لهم من ناحية البر ، دور مهم في إفشال محاولات حاكم مسقط .

لقد رجحت كفة السعوديين في منافستهم للبوسعيديين على كسب ولاء قبائل جنوب غرب الخليج وخاصة بعد مقتل السيد سلطان ، وتمكنوا من مد نفوذهم إلى مسقط وأوصلوا مرشحهم إلى حكومتها . وقد ساعدهم على ذلك تفوق قوتهم البرية وانتشار دعوتهم الإصلاحية بين قبائل شمال عمان والظاهرة ، وإهمال حكومة مسقط لتلك القبائل . كما أسهم في نجاح السعوديين أيضاً ، المنافسة الملاحية والتجارية القديمة بين حكومة مسقط وبين كل من القواسم والعتوب ، الذين رأوا في قوة الدولة السعودية سنداً قوياً يساعدهم على التخلص من سيطرة حكومة مسقط دون أن يكون له أثر كبير على نشاطاتهم التجارية والبحرية ، فمنحوا ولاءهم للسعوديين وتحالفوا معهم ضد حكومة مسقط . وبذلك أضاف السعوديون قوة بحرية إلى قوتهم البرية ، واجهوا بها أسطول حكومة مسقط وأضعفوا من فعاليته وبالتالي أحبطوا الطموحات الإقليمية والتجارية التي سعت إلى تحقيقها تلك الحكومة .

إن النجاح الذي أحرزته الدولة السعودية في عمان كان أكبر مما توقعه حلفاؤها الذين أسهموا في إنجازه . فقد أخاف ذلك النجاح العتوب والقواسم وأهل الظاهرة وغيرهم لأن تلك القبائل لم تتحالف مع الدولة السعودية لكي تقع تحت سيطرتها التامة في النهاية ، وإنما تحالفت معها للاستعانة بها للتخلص من هيمنة حكومة مسقط . ولما شعر أولئك الحلفاء بأن التوازن قد اختل لصالح السعوديين أخذوا في

إعادة النظر في حساباتهم وتحالفاتهم .

لم ينته التنافس السعودي البوسعيدي في هذه المرحلة ، إلا أن مقتل السيد سلطان وما نتج عنه من امتداد النفوذ السعودي إلى مسقط ، وسيطرة القواسم على مدخل الخليج ، وتراجع ولاء حلفاء الدولة السعودية ، جعل من الفترة السابقة لهذه الحوادث مرحلة متميزة في التنافس السعودي البوسعيدي في جنوب الخليج العربي .

******

الهوامش:

(١) يشمل اسم « عمان » « والقبائل العمانية » خلال فترة هذه الدراسة أغلب مناطق وقبائل ما يعرف اليوم بدولة الإمارات العربية المتحدة إضافة إلى مناطق سلطنة عمان الحالية .

(٢) للإلمام بأوضاع عمان وحكم اليعاربة قبل منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر للميلاد ، واستيلاء القوات الفارسية على بعض المدن العمانية انظر : حميد بن محمد بن رزيق ، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبدالمنعم عامر ومحمد مرسي عبدالله ، وزارة التراث القومي ، مسقط ، ١٣٩٧هـ ، ص : ٢٦٢ وما بعدها . وقد ترجم هذا الكتاب وقدم له ووضع عليه بعض التعليقات ، القس جورج بيرسي بادجر GEORGE PERCY BADGER ، ونشره في لندن عام ١٨٧١م بعنوان HISTORY OF THE IMAMS AND SEYYIDS OF OMAN, BY SALIL IBN RAZIQ .

وقد أخذ كثير من الكتاب الإنجليز والأوروبيين تاريخ عمان عن طريق هذه الترجمة . وانظر أيضاً : عبدالله بن حميد السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، تحقيق إبراهيم إطفيش الجزائري ، القاهرة ، ١٩٦١م ، جـ٢ ، ص : ١٤١ وما بعدها ، وأيضاً : سرحان بن سعيد الأزكوي ، تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، تحقيق عبدالمجيد القيسي ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ، ١٩٨٠م الفصل السادس والسابع .

(٣) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٣٤٣ - ٣٤٩ .
السالمي ، تحفة الأعيان ، ص : ١٥٠ - ١٥٩ - ١٦٨ - ١٧٢ .
الأزكوي ، تاريخ عمان ، ص ١٣٩ - ١٥٥ .

J.B; KELLY, BRITAIN AND THE PERSIAN GULF, 179 -1880, OXFORD, 1968, P.9 .

(٤) كان يتزعم أغلب الثورات ضد الإمام أحمد بن سعيد ، زعماء اليعاربة ورؤساء قبائل الظاهرة والصير وبعض أبناء الإمام نفسه ، الذين كانوا يستعينون بقبائل الحزب الغافري الذين لم يكونوا راضين عن انتخاب الإمام أحمد بسبب انتماء أسرته للحزب الهناوي ودور مشايخ ذلك الحزب في تقديمه للإمامة ، انظر : ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٣٦٧ - ٣٨٤ ، والسالمي ، تحفة الأعيان ، ص ١٦٩ - ١٧٢ ، وأيضاً : ج ج . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، طبعة جديدة معدلة ومنقحة ، ترجمة ونشر مكتب أمير دولة قطر ، جـ ٢ ، ص : ٦٤٤ - ٦٤٧ ، وسيشار إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا : لوريمر ، القسم التاريخي . والمقصود بالشمال أو الصير أو عمان الصير ، هو المنطقة الساحلية الشمالية من عمان والتي تشكل الآن دولة الإمارات العربية المتحدة ، أما الظاهرة فهي المنطقة الواقعة إلى الغرب من مرتفعات الجبل الأخضر والحجر الغربي ، أما المنطقة الساحلية الواقعة بين تلك المرتفعات والبحر فتسمى الباطنة .

(٥) للإلمام بمدي نمو تجارة مسقط في عهد الإمام أحمد واستفادة ذلك الميناء من تدهور الأوضاع في بندر عباس انظر :

PATRICIA RISSO, OMAN AND MUSCAT, AN EARLY MODERN HISTORY. CROOM HELM, LONDON & SYDNEY, 1968, CHAPTER 5 . KELLY, P. 10

مديحة أحمد درويش ، سلطنة عمان في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر ، دار الشروق ، جدة ، ١٤٠٢هـ ، ص ٧٩ - ٨١ . وندل فيليبس ، تاريخ عمان ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، وزارة التراث القومي ، مسقط ، ١٤٠١هـ ، ص : ٨٤ .

(٦) بلغ من ضعف الإمام سعيد بن أحمد وانعزاله في الداخل أن ثار عليه

أخواه، سيف وسلطان ، واستقل أخوه الثالث ، قيس بحكم صحار ثاني أهم الموانئ العمانية ، واجتمع بعض أعيان عمان وعلمائها في المصنعة على ساحل الباطنة لعقد الإمامة لقيس بن أحمد والي صحار ، انظر : ابن رزيق، الفتح المبين ، ص ٣٩٢ ، والسالمي ، تحفة الأعيان ، جـ ٢ ، ص : ١٧٣ وما بعدها ، وأيضاً

S.B. MILES, THE COUNTRIES AND TRIBES OF THE PERSIAN GULF, FRANK CASS, 1966, P. 281 - 282 .

(٧) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٣٩٢ وما بعدها ، فيليبس ، تاريخ عمان ، ص : ٨٥ - ٨٦ .

MILES, P. 283 - 284 . KELLY, P. 10 - 11.

لوجهة نظر مختلفة انظر : RISSO, OMAN, P. 96 - 105 .

(٨) RISSO, OMAN, P. 100 - 104.

انظر خريطة رقم (١) " عالم عمان التجاري " .

(٩) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص : ٦٦٢ ، وانظر أيضاً، MILES, P. 286 . لمعرفة مواقع هذه البلدان وغيرها من البلدان والموانئ الوارد ذكرها في هذه الدراسة انظر خريطة رقم (٢) " حوض الخليج العربي وخليج عمان وموانئها البحرية " .

(١٠) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٢٩ .

ARNOLD T.WILSON. THE PERSIAN GULPH, 3 RD ED. LONDON, 1959. P. 188 - 189 . RISSO, OMAN, P. 106 - 107, 125 - 130 .

انظر ، الخريطة رقم (١) .

(١١) جددت حكومة الهند هذه المعاهدة في عام ١٢١٤هـ / ١٨٠٠م بشروط أقوى لضمان المصالح البريطانية على يد الكابتن جون مالكوم ، مبعوثها إلى بلاد فارس ، انظر بنود المعاهدتين في

C.U. AITCHISON, ACOLLECTION OF TREATIES, ENGAGEMENTS AND

SANADS RELATING TO INDIA AND NEIGHBOURING COUNTRIES, DELHI, MANAGER OF PUBLICATIONS, 1933, KRAUS REPRINT, 1973 . VOL.11, P.287 - 288 .

وسيشار إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا AITCHISON, COLLECTION OF TREATIES .

(١٢) سمير محمد على أبوياسين ، العلاقات العمانية البريطانية ١٧٩٨ - ١٨٥٦م ، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، ١٩٨١م ، ص : ٢٧ - ٢٨ ، ٣١ .

RISSO, OMAN, P. 157,214 .

(١٣) للإلمام بمدى نمو تجارة مسقط خلال عهد السيد سلطان بن أحمد انظر :

RISSO, OMAN, CHAPTER, 10 , KELLY. P.14 - 16.

وفيليبس ، تاريخ عمان ، ص : ٨٥ - ٨٧ ، ١١٢ . وانظر أيضاً : تقرير الكابتن جون مالكوم JOHN MALCOLM عن وضع التجارة بين بلاد فارس والهند الذي كتبه عام ١٨٠٠م في :

J.A. SALDANHA, SELECTIONS FROM STATE PAPERS, BOMBAY REGARDING THE EAST INDIA COMP ANY'S CONNECTION WITH THE PERSIAN GULF, WITH A SUMMARY OF EVENTS, 1600 - 1800, CALCUTT A. 1908, P. 444 - 446 .

وسيشار إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا : SALDANHA, SELECTIONS. .

وانظر أيضاً :

J.A BUCKINGHAM, TRAVELS IN ASSYRIA , MEDIA , AND PERSIA .... LONDON, 1830 , VOL. 2. P. 400 - 402 .

وقد زار هذا الرحالة مسقط في نوفمبر ١٨١٦م وتحدث عن ازدهار تجارتها في عهد السيد سلطان بن أحمد ، وسيشار إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا :

BUCKINGHAM, TRAVELS

(١٤) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٣١٠ وما بعدها ، جمال زكريا قاسم ،

الخليج العربي ، دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول ، ١٥٠٧ - ١٨٤٠م ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص : ٢٦٧ .

(١٥)

C.NIEBUHR, TRAVELS THROUGH ARABIA AND OTHER COUNTRIES IN THE EAST . TRANSLATED INTO ENGLISH BY ROBERT HERON , EDINBURGH, 1792, (REPRINT) VOL.2. P. 124 - BUCKINGHAM, TRAVELS, VOL. 2 . P. 210.

وانظر أيضاً :

SELECTIONS FROM THE RECORDS OF THE BOMBAY GOVERNMENT . NEW SERIES, NO.XXIV : HISTORICAL AND OTHER INFORMATION CONNECTED WITH THE PROVINCE OF OMAN, MUSKAT. BAHREIN, AND OTHER PLACES IN THE PERSIAN GULF, COMPILED AND EDITED BY R. HUGHES THOMAS, BOMBAY, 1856. P. 301.

إن أغلب المختارات المستخدمة في هذه الدراسة هي ملاحظات ونبذ تاريخية عن عمان وحكومة مسقط وقبيلة القواسم وعتوب البحرين والوهابيين (السعوديين) والقبائل العربية ، كتبها عضو مجلس حكومة بومبى ، السيد فرانسيس واردن FRANCIS WARDEN في عام ١٨١٩م (١٢٣٤هـ) وسيشار إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا : BOMBAY SELETIONS .

(١٦) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص ٩٦٦ - ٩٦٧ ، وأيضاً : صالح محمد العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ، ١٧٤٧ - ١٨٢٠م ، بغداد، ١٩٧٦م ، ص : ٨٧ - ٨٨ ، ١٠٤ .

DONALD HAWLEY, THE TRUCIAL STATES, GEORGE ALLEN & UNWIN LTD. LONDON, 1970 , P. 92 .

انظر المواضع المذكورة هنا على الخريطة رقم (٢) .

(١٧) قاسم ، الخليج العربي ، ص : ٢٦٨ - ٢٧٠ . MILES, P. 269 .

العابد ، دور القواسم ، ص : ٩٠ - ٩٣ .

(١٨) العابد ، دور القواسم ، ص : ٩٠ - ٩١ .

(١٩) NIEBUHR, TRAVELS. VOL. 2 . P. 115, 122 - 124 .

HAWLEY. THE TRUCIAL STATES. P. 92 - 93 .

(٢٠) قاسم ، الخليج العربي ، ص : ٢٧٠ - ٢٧١ .

BOMBAY SELECTIONS. P. 301 . MILES, P. 271 .

(٢١) MILES. P. 274 - 275 . HAWLEY, THE TRUCIAL STATES, P. 87 - 88.

العابد ، دور القواسم ، ص : ٩٣ - ٩٦ .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ ٢ ، ص : ٦٤٨

NIEBUHR, TRAVELS, VOL.2 . P. 124 .

(٢٢) BOMBAY SELECTIONS. P. 300 - 301 .

العابد ، دور القواسم ، ص : ١٠٤ - ١١٤ . KELLY, P. 19

قاسم ، الخليج العربي ، ص : ٢٤٨ - ٢٤٩ ، ٢٧٤ - ٢٧٥ .

لوريمر ، القسم التاريخي، جـ ٢ ، ص : ٩٦٧ - ٩٦٩ .

(٢٣) BOMBAY SELECTIONS. P. 301 .

العابد ، دور القواسم ، ص : ١١١ - ١١٤ .

عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم ، علاقة ساحل عمان ببريطانيا ، دراسة وثائقية، دار الملك عبدالعزيز ، الرياض ، ١٤٠٢هـ ، ص : ١٠٥ - ١٠٩ .

(٢٤) قاسم ، الخليج العربي ، ص : ٢٦٨ - ٢٦٩ .

العابد ، دور القواسم ، ص : ٩٦ - ٩٩ . . Miles, P. 276 , 279 , 281

(٢٥) MILES. P. 281 . KELLY, P. 20.

HAWLEY, THE TRUCIAL STATES, P. 88 .

لمعرفة مواقع هذه المناطق والبلدان وغيرها انظر الخريطة رقم (٢) .

(٢٦) انظر ، عبدالعزيز الرشيد ، تاريخ الكويت ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص : ٣٣ - ٣٥ ، وسيف مرزوق الشملان ، من تاريخ الكويت ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص : ١٠٦ - ١٠٩ .

(٢٧)

Ahmad M. Abu Hakimah, History Of Eastern Arabia 1750-1800, Khayats Beirut, 1965. P. 51 - 53 .

للاطلاع على تفاصيل هجرة العتوب وتجوالهم في نواحي الخليج ثم استقرارهم في الكويت ، انظر بالإضافة إلى الفصل الثاني من هذا المرجع كتابي الرشيد والشملان السابقين .

(٢٨) NIEBUHR, TRAVELS, VOL.2 . P. 127 .

BOMBAY SELECTIONS. P. 362 .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١٥٠٢ .

(٢٩) BOMBAY SELECTIONS. P. 362 .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١٥٠٣ .

وتختلف المصادر حول نشأة بلدة الزبارة فبينما يذكر عثمان بن سند البصري في كتابه : سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد ، بومبى ١٣١٥هـ ، ص : ١٩ - ٢٠ ، أن الذي أنشأها وعمرها هما خليفة بن محمد شيخ العتوب والشيخ رزق ، وهو تاجر مهاجر من الكويت أيضاً ، ينص محمد بن خليفة النبهاني في كتابه ، التحفة النبهاني في تاريخ الجزيرة العربية ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص : ٨٢ - ٨٣ ، على أن أول من نزل الزبارة وعمرها هو الشيخ أحمد بن رزق ثم نزل عنده قوم آخرون منهم الشيخ محمد بن خليفة شيخ آل خليفة الذي اختاره أهل الزبارة فيما بعد شيخاً لهم .

(٣٠) النبهاني ، التحفة ، ص : ٨٢ ، ABU HAKIMAH, P. 65 - 66 .

(٣١) BOMBAY SELECTIONS. P. 362 - 363.

(٣٢) ABU HAKIMAH, P. 66 - 67.

لمعرفة موقع الزبارة وغيرها من مستوطنات العتوب ، انظر : الخريطة رقم(٢) .

(٣٣) . ABU HAKIMAH, P. 71 - 73

فائق حمدي طهبوب ، تاريخ البحرين السياسي ، ذات السلاسل ، الكويت، ١٩٨٣م ، ص : ٤٤ . لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١١٩٦ .

(٣٤) . BOMBAY SELECTIONS. P. 363 - 364

ABU HAKIMAH, P. 77 - 78, 86 - 89 , 96 - 100 , 107.

(٣٥) . BOMBAY SELECTIONS. P.363 - 364

ABU HAKIMAH, P. 88 - 89.

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١١٩٦ - ١١٩٧ .

(٣٦) لتتبع حملات حكام فارس وأتباعهم من شيوخ الساحل الشرقي للخليج ضد الزبارة والكويت ومن ثم استيلاء العتوب على البحرين انظر :

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١١٩٦ - ١١٩٧ ، ١٢٧٢ - ١٠٥٦ .

. ABU HAKIMAH, P. 105 - 108, 110 - 111

طهبوب ، تاريخ البحرين ، ص : ٤٦ - ٤٧ .

. SALDANHA, SELECTIONS. P. 404 - 405

النبهاني ، التحفة، ص: ٨٥ - ٨٨ . BOMBAY SELECTIONS. P. 364 - 366 .

ويذكر النبهاني (ص : ٨٦ - ٨٧) أن قائد الحملة الفارسية هو الشيخ نصر آل مذكور نفسه ورئيس أهل الزبارة هو الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة نائباً

عن أخيه خليفة الذي كان يؤدي نسك الحج في مكة تلك السنة ومات هناك، أما المصادر البريطانية فتذكر أن قائد الحملة هو محمد ابن أخ الشيخ نصر .

(٣٧) WILSON. THE PERSIAN GULPH. P. 187 - 188 .

(٣٨) SALDANHA, SELECTIONS. P. 405 .

(٣٩) SALDANHA, SELECTIONS. P. 405 - 409 .

(٤٠) BOMBAY SELECTIONS. P. 363 - 364.

ABU HAKIMAH, P.77 - 78 - 86 - 89 - 96 - 100 , 107 .

(٤١) SALDANHA, SELECTIONS. P. 405 , 407 - 409 .

وانظر أيضاً : ABU HAKIMAH,CHAP. 111, VI .

(٤٢) للإلمام بتفاصيل انتشار الدعوة الإصلاحية وظهور وتوسع الدولة السعودية، انظر : حسين بن غنام ، تاريخ نجد ، المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام تحرير ، ناصر الدين الأسد ، الصفحات الذهبية ، الرياض ، ١٤٠٣هـ ، الجزء الأول . وأيضاً عثمان بن عبدالله بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، وزارة المعارف ، ١٣٩١هـ ، الجزء الأول ، وعبد الرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، الدولة السعودية الأولى ، ١١٥٨ - ١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥ - ١٨١٨م ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ١٩٨٧م ، وعبدالله صالح العثيمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٠٤هـ ، الجزء الأول .

(٤٣) عن حملات شيوخ بني خالد ضد الدول السعودية ، انظر : ابن غنام ، جـ١ ، ص : ١١١ - ١١٢ ، ١٢١ - ١٢٣ ، ١٣٧ ، ١٤٧ - ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٣ - ١٥٦ ، وابن بشر ، جـ١ ، ص : ٥١ ، ٥٩ - ٦٠ ، ٧٨ ، ٩٠ - ٩٤ ، ولتعليل فشل تلك الحملات انظر : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب ، مؤلف مجهول ، تحقيق ، أحمد أبوحاكمة ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧م ، ص : ٦٧ - ٧٠ ، وانظر أيضاً : محمد بن غبدالله آل

عبدالقادر الأحسائي ، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ١٤٠٢هـ ، جـ١ ، ص : ١٢٨ - ١٢٩ ، ١٣١ - ١٣٢ ، عبدالرحيم ، الدولة السعودية . ض : ٩١ - ٩٤ .

(٤٤) قام السعوديون بأول هجوم على الأحساء في عام ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م عندما هاجموا المطيرفي والمبرز ، انظر ابن غنام ، جـ١ ، ص : ١١٨ ، وابن بشر ، جـ١ ، ص : ٥٦ .

(٤٥) لتتبع غزوات السعوديين ضد الأحساء ومراحل تثبيت نفوذهم فيه ، انظر ابن غنام ، جـ١ ، ص : ١٦٩ وما بعدها ، ولمع الشهاب ، ص : ٦٧ - ٧٦-، والأحسائي ، تحفة المستفيد ، جـ١ ، ص : ١٣١ - ١٣٦ .

(٤٦) SALDANHA, SELECTIONS. P. 408 .

ABU HAKIMAH, P. 40 - 41 , 67 - 74 , 154 - 155 .

(٤٧) كان إبراهيم بن عفيصان في هذا الوقت أميراً في إقليم الخرج ، وكان الإمام عبدالعزيز كثيراً ما يكل إليه قيادة الحملات العسكرية في نواحي الخليج العربي ، وعندما خلف الإمام سعود أباه عين إبراهيم بن عفيصفان في عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م أميراً للأحساء ، انظر : ابن غنام ، جـ١ ، ص : ١٩٣ - ١٩٥ ، ابن بشر ، جـ١ ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، أما صاحب لمع الشهاب ، ص : ٧١ - ٧٦ ، فيؤكد أن الإمام عبدالعزيز عين إبراهيم بن عفيصان أميراً في الأحساء بعد ثبات نفوذه في المنطقة مباشرة (١٢١١هـ/ ١٧٩٦م) ثم وافقه على إخضاع بلدة الزبارة في قطر .

(٤٨) ابن غنام ، جـ١ ، ص : ١٦٩ ، ١٨٠ ، ١٩٠ ، ابن بشر ، جـ١ ، ص ١٠٠ ، ١١١ ، ١٣٣ .

(٤٩) تتضارب أقوال موظفي الوكالة البريطانية فيما يتعلق بإسهاماتها في صد الهجمات السعودية على الكويت ، فيذكر جون لويس رينو JOHN LEWIS REINAUD أن مدفعية الوكالة وطرادها وحرسها أسهموا في صد الهجوم

المشار إليه، وأن ذلك أغضب السعوديين الذين هاجموا البريد الصحراوي البريطاني مما اضطر المسئولين إلى إرسال (رينو) في بعثة إلى الدرعية ، وهذا ما يرجحه أبو حاكمة (ABU HAKIMAH, P. 162 - 163) ، وانظر أيضاً، لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١٥٧٩ . أما هارفرد جونز بردجز ، الوكيل المشارك في الوكالة ، فيذكر أن الكويتيين هم الذين صدوا الهجوم وحدهم ، وأن مسئولي الوكالة كانوا يقاومون رغبة شيخ الكويت في اشتراك حرس الوكالة في الدفاع عن البلدة وذلك للمحافظة على علاقة جيده مع الأمير سعود وسلامة البريد الصحراوي من وإلى حلب ، أنظر كتابه ،

AN ACCOUNT OF THE TRANSACTIONS OF HIS MAJESTY'S MISSION TO THE COURT OF PERSIA, IN THE YEARS 1807 - 11 , BY SIR HARFORD JONES BRYDGES, ... TO WHICH IS APPENDED A BRIEF HISTORY OF THE WAHAUBY . LONDON, MD CCCXXXIV (1834) VOL. II, P. 14 - 15 .

وسيشار إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا : BRYDGES, BRIEF HISTORY ...

(٥٠) BRYDGES, BRIEF HISTORY, P. 11 - 13 .

(٥١) BRYDGES, BRIEF HISTORY, P. 15 - 16.

كان الحاكم السعودي في هذا الوقت هو الإمام عبدالعزيز بن محمد لكن ابنه الأمير سعود كان هو الذي يقود الحملات العسكرية إلى شمال الجزيرة العربية وجنوب العراق ويتعامل معه الكويتيون .

(٥٢) ابن غنام ، جـ١ ، ص : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، ابن بشر ، جـ١ ، ص : ١٤٩ ، ربما كان سبب هذا الهجوم هو اعتقاد السعوديين بتعاون أهل الكويت مع الشيخ ثويني بن عبدالله ، شيخ المنتفق ، الذي مكث ثلاثة شهور في الجهراء بالقرب من الكويت يعد حملة عثمانية ضد الدولة السعودية في السنة السابقة .

(٥٣) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١٥١٢ ، ١٦٠٢ ، يذكر ابن

بشر، جـ١، ص: ١٩٠، غزوة الإمام سعود ضد جنوب العراق ومهاجمته النجف والبصرة والمنتفق وغيرها في هذه السنة لكنه لا يذكر الكويت.

(٥٤) لوريمر، القسم التاريخي، جـ٣، ص: ١٥١١، ١٥٨٠.
ويرجح د. عبدالله العثيمين أن السعوديين لم يهدفوا إلى الاستيلاء على الكويت، وأنهم لم يهاجموا البلدة سوى مرتين بسبب تأييد أهلها لأعدائهم، انظر: العلاقات بين الدولة السعودية الأولى وبين الكويت، الرياض، ١٤١١هـ، ص: ٩١ وما بعدها و ص: ١٧١ - ١٧٢.

(٥٥) لمع الشهاب، ص: ٧٦ - ٧٧ (انظر حاشية رقم (٥٤) أعلاه).

(٥٦) لمع الشهاب، ص: ٧٧ - ٧٨، النبهاني، التحفة، ص: ٨٩ - ٩٠، من اللافت للنظر أن ابن غنام وابن بشر لا يذكران حصار ابن عفيصان للزبارة واستيلاءه عليها مع أنهما يذكران غزواته لبعض نواحي قطر خلال عامي ١٢٠٧هـ و ١٢٠٩هـ، وينص صاحب لمع الشهاب على أن هجوم ابن عفيصان على الزبارة كان إثر تعيينه أميراً للأحساء (١٢١١هـ/ ١٧٩٦م) كما يذكر النبهاني أن رحيل العتوب إلى البحرين كان في عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م.

(٥٧) لوريمر، القسم التاريخي، جـ٣، ص: ١١٩٨ BOMBAY SELECTIONS. P. 522.

(٥٨) لمع الشهاب، ص: ٧٨ - ٧٩.
ينص هذا المصدر المعاصر على أن غزو السعوديين لبني ياس كان بعد مضي سنتين من استيلائهم على بلدة الزبارة، أما عبدالله بن صالح المطوع (ت بعد عام ١٣٧٦هـ) فيذكر في كتابه «عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان» (مخطوط في مكتبة أرامكو في الظهران برقم(953.4/A) أن آل سعود وصلوا إلى البريمي وبدأوا في نشر الدعوة السلفية بدون قتال في عام

١٢١٠هـ/ ١٧٩٥- ١٧٩٦م (انظر ، ورقه : ٣٢) وسيشار إلى هذا المصدر بعد الآن هكذا : المطوع ، عقود الجمان .

ويلاحظ أن أغلب قبيلة بني ياس في هذا الوقت ما زالوا رعاة وزراعًا يعيشون في واحة الليوا وما جاورها في الداخل (أقرب إلى قطر) ولم ينتقل إلى الساحل وأبوظبي سوى قسم منهم ، كما يلاحظ أيضاً أن القبيلة كانت تعاني من انقسام سياسي حاد في ذلك الوقت ، ربما استغله القادة السعوديون لصالحهم ، انظر . BOMBAY SELECTIONS. P. 462 - 464

(٥٩) لمع الشهاب ، ص : ٧٩ ، ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٦٠) لمع الشهاب ، ص : ٧٨ - ٨١ . العابد ، دور القواسم ، ص : ١٣٥ - ١٣٦ ، التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبوظبي وبين المملكة العربية السعودية ، عرض حكومة المملكة العربية السعودية ، ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م) جـ١ ، ص : ١١٠ - ١١١ وسيشار إلى هذا المرجع بعد الآن هكذا : التحكيم . . . . عرض حكومة المملكة ، وانظر أيضا :

MILES, P. 288 . RISSO , OMAN, P. 173 .

ويلاحظ أن صاحب لمع الشهاب يذكر اشتراك مطلق المطيري وراشد بن سنان المطيري في هذه المرحلة المبكرة من نشاط السعوديين في عمان وهو ما لم تشر إليه المصادر السعودية .

(٦١) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣١ - ٤٣٢ . . MILES, P. 294 .

KELLY, P. 102 - 103 .

(٦٢) المصادر السابقة ، الصفحات نفسها . وأيضاً : المطوع ، ورقة ، ٣٢ . العابد، دور القواسم ، ص : ١٥٩ - ١٦٠ . BOMBAY SELECTIONS. P. 174 - 429 .

RISSO, P. 176 - 177 .

(٦٣) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٦٤ - ٦٦٥ ، جـ٣ ، ص :

. ١٢٧٤ - ١٢٧٥

BOMBAY SELECTIONS. P.173 .

(٦٤) BOMBAY SELECTIONS. P. 174 , 366 .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١٢٧٥ . . KELLY, P. 103

(٦٥) BOMBAY SELECTIONS. P. 174 .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١٥١٠ .

(٦٦) ابن بشر ، جـ١ ، ص ١٦١ ، ابن سند البصري ، ص : ٨٤ .

BOMBAY SELECTIONS. P. 366 , 429 .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١٢٧٦ ، KELLY, P. 103 ويذكر لوريمر (جـ٣ ، ص : ١٥٧٩) أن الشيخ سلمان بن أحمد قام بزيارة للحاكم السعودي في الدرعية ، بعد استعادته للبحرين ، ومعه مبلغ من المال ليدفعه كجزية (زكاة) غير أنه أعفي من ذلك .

(٦٧) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٢ . MILES, P. 295 .

BOMBAY SELECTIONS. P. 303 - 366.

(٦٨) BOMBAY SELECTIONS. P. 174 , 303 , 430 .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٩٧٣ ، وتقع دبا ، على الساحل الشرقي لرأس مسندم المشرف على خليج عمان إلى الشمال من خورفكان . والمقصود بنهر البصرة هنا ، شط العرب .

(٦٩) ابن بشر ، جـ١ ، ص : ١٦١ ، ١٦٢ - ١٦٣ ، لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١٥٨٣ - ١٥٨٥ . . KELLY, P. 100 - 101

(٧٠) BOMBAY SELECTIONS. P. 174 .

(٧١) ابن بشر ، جـ١ ، ص : ١٦٣ - ١٦٤ . المطوع ، ورقات ، ٣٠ - ٣١ .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٦٦ - ٦٦٧ . . MILES, P. 297

يذكر أحمد زيني دحلان في كتابه ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد

الحرام، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٣٠٥هـ ، ص : ٢٧٦ - ٢٧٧ ، أن أميري الحاج الشامي والمصري غادرا مكة في الخامس والسادس من محرم ١٢١٨هـ ، على التوالي ثم غادرها والي جدة ، شريف باشا والشريف غالب إلى جدة ، وأن الأمير سعود وأتباعه دخلوا مكة في اليوم الثامن من الشهر نفسه ، وفيما عدا المطوع ، الذي يؤكد أن السيد سلطان شاهد دخول الأمير سعود مكة ، لا تشير مصادرنا الأخرى إلى المكان الذي كان فيه حاكم مسقط .

(٧٢) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٤ - ٤٣٥ .

(٧٣) BOMBAY SELECTIONS. P. 174 , 430 . MILES, P. 298 . KELLY, P. 104 . العابد ، دور القواسم ، ص : ١٦١ . لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٦٧ ، جـ٣ ، ص : ١٥٨٠ ، يذكر كل من لوريمر ومايلز ، أن السيد سلطان أرسل وفداً إلى الدرعية لعقد الهدنة بينما لا يفهم ذلك من المصادر الأخرى ، كما لا يتضح من المصادر المتوافرة مدى التزام السيد سلطان ببنود هذه الهدنة .

(٧٤) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٥ - ٤٣٦ . MILES, P. 297 . BOMBAY SELECTIONS. P. 175 - 430 . لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٦٧ - ٦٦٨ ، جـ٣ ، ص : ١٢٧٦ ، ١٥١١ ، ١٥٨٠ . KELLY, P. 104 .

(٧٥) انظر المصادر السابقة ، الصفحات نفسها .

(٧٦) المصادر السابقة ، والصفحات نفسها .

(٧٧) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٦٧ - ٩٧٣ ، جـ٣ ، ص : ١٢٧٦ ، ١٥١١ ، ١٥٨٠ . MILES, P. 297 - 298 . ويذكر كيلي (KELLY, P. 104) أن كلاً من القواسم وعتوب الكويت لم يدخلوا في حرب مع السيد سلطان في هذا الوقت .

(٧٨) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٥ - ٤٣٦ . لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٦٨ . . BOMBAY SELECTIONS. P.175 - 430 .
MILES, P. 298 . KELLY, P. 104 .
انظر الخريطة رقم (٢) لمعرفة مواقع البلدان المذكورة هنا .

(٧٩) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٦ - ٤٣٨ .
لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٦٨ . . MILES, P. 298 - 299 .
KELLY, P. 104 - 105 .
قتل الإمام عبدالعزيز في الدرعية في أواخر رجب ١٢١٨هـ (بداية نوفمبر ١٨٠٣م) (ابن بشر ، جـ١ ، ص : ١٦٧) وقد اعتقد السيد قيس والسيد سلطان ، أن انسحاب الحرق سببه خوفه من كثرة قواتهما لعدم علمهما بما حدث في الدرعية ، انظر ابن رزيق ومايلز الصفحات الأخيرة .

(٨٠) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٨ . . MILES, P. 299 . KELLY, P. 104
خلف الشيخ سلطان بن صقر أباه في مشيخة القواسم في عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م .

(٨١) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٧٩ . . MILES, P. 302 . KELLY, P. 105 .

(٨٢) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٧٩ . . MILES, P. 305 . KELLY, P. 105 وانظر أيضاً : ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٨ - ٤٣٩ ، الذي ينص على أن رحلة السيد سلطان إلى البصرة كان هدفها " أخذ القانون الجاري من أهل البصرة لحاكم عمان من عهد الإمام أحمد بن سعيد " وأن أهل البصرة استقبلوه استقبالاً حافلاً وسلموه القانون الجاري .

(٨٣) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٩ - ٤٤٠ . ابن بشر ، جـ١ ، ص : ١٨١ .
لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٧٩ - ٦٨٠ .

MILES, P. 302 - 303 . KELLY, P. 105 .

(٨٤) لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٨٤ .

MILES, P. 304 . KELLY, P. 12 , 109 .

لا يصرح ابن رزيق بالوصاية لكنه يقول أن السيد سعيد أشرك محمد بن ناصر الجبري في الحل والعقد وأن المراسلات كانت تصدر باسمه . كما يذكر أن السيد سعيد ولد في عام ١٢٠٦هـ (١٧٩١ - ١٧٩٢م) أي أن عمره عند وفاة أبيه كان ١٣ سنه . انظر ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٦٠ - ٤٦٢ .

(٨٥) . BOMBAY SELECTIONS. P. 58 , 175 - 303

MILES, P. 303 - 304 . KELLY, P. 105 - 106 .

العابد ، دور القواسم ، ص : ١٦٦ ، ١٦٨ - ١٦٩ . وبنو معين هم قبيلة عربية كانت تحكم جزر قشم وهرمز وبندر عباس وتوابعها باسم حكومة فارس لكن السيد سلطان استولى عليها منهم .

(٨٦) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٦٢ - ٤٦٦ . MILES, P. 304 BOMBAY SELECTIONS. P. 175 - 176 .

(٨٧) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٣٤ - ٤٣٥ . . MILES, P. 296 - 297 , 304 . BOMBAY SELECTIONS. P. 176 .

(٨٨) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٧٢ - ٤٧٦ . . MILES, P. 305 . لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٨٤ .

(٨٩) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٧٧ - ٤٨١ . MILES, P. 305 . لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٨٤ - ٦٨٥ .

يقدر ابن رزيق (ص : ٤٧٨ - ٤٧٩) عدد المقاتلين العتوب الذين وصلوا لمساعدة السيد بدر على دفعتين بحوالي : ١٢٠٠ رجل ، وأهل الظاهرة والشمال بحوالي ١٢ ألف رجل من الحضر والأعراب ، بينما يقدر فرانسيس واردن (BOMBAY SELECTIONS. P.176) ومايلز (MILES, P. 305) أتباع

السعوديين الذين جاؤوا لمساعدة السيد بدر من جهة البحر بحوالي أربعة آلاف مقاتل و ١٥ مركباً ، أما كيلي (KELLY, P. 107) فيذكر أن عدد العتوب كان ١٥٠٠ مقاتل جاؤوا على ١٥ مركباً ، ويلاحظ أنه ليس هناك أي إشارة في هذه المصادر لاشتراك القواسم في هذه الحملة .

(٩٠) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٨٣ - ٤٨٨ .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٨٧ - ٦٨٨ .

BOMBAY SELECTIONS. P. 177 . MILES, P. 306 . KELLY, P. 108 .

تختلف المصادر البريطانية والعمانية في عدد محاولات السيد قيس للاستيلاء على مسقط ، كما تختلف في تفاصيل حوادث تلك المحاولات والاطراف التي اشتركت فيها ، ويفهم من المصادر البريطانية أن للإمام سعود دوراً في عدم حسم الصراع بين السيد بدر وعمه قيس لخوفه من ازدياد قوة بدر وبالتالي استقلاله عن السعوديين ، بينما يفهم من ابن رزيق أن لبعض زعماء الأحزاب والقبائل العمانية ، مثل الشيخ خميس بن سالم الهاشمي وعلي بن هلال البوسعيدي ومحمد بن خلفان والشيخ حميد بن ناصر الغافري وغيرهم دوراً في عدم رجحان كفة أحد الطرفين على الآخر وخاصة كفة السيد بدر وحلفائه لخوفهم من سيطرة السعوديين على جميع أقاليم عمان ، انظر المصادر المذكورة أعلاه ، انصفحات نفسها ، أما المصادر السعودية فلا تشير إلى نشاط السعوديين في عمان في هذا الوقت .

(٩١) لمع الشهاب ، ص : ٨٥ - ٨٦ .

MILES, P. 306 - 307 . KELLY, P. 108 .

وينص صاحب لمع الشهاب على أنه كان للسعوديين خلال فترة حكم السيد بدر قضاة في مسقط وحامية عسكرية أخرى في وادي سمايل طلب السيد بدر سحبها من هناك لعدم استثارة العمانيين .

(٩٢) BOMBAY SELECTIONS. P. 366 .

(٩٣) لمع الشهاب ، ص : ٨٣ - ٨٤ .

(٩٤) BOMBAY SELECTIONS. P. 366 - 367 .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٣ ، ص : ١٢٧٦ - ١٢٧٧ .

أبو ياسين ، العلاقات العمانية البريطانية ، ص : ١٣٩ .

(٩٥) المصدران الأولان ، الصفحات نفسها .

(٩٦) العابد ، دور القواسم ، ص : ١٦٣ .

(٩٧) BOMBAY SELECTIONS. P. 303 .

لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ١١٤٤ .

MILES, P. 297 . KELLY, P. 104 .

(٩٨) MILES, P. 306 .

(٩٩) ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص : ٤٨٤ - ٤٨٧ .

وانظر أيضاً لوريمر ، القسم التاريخي ، جـ٢ ، ص : ٦٨٧ - ٦٨٨ .

******

خريطة رقم (١)

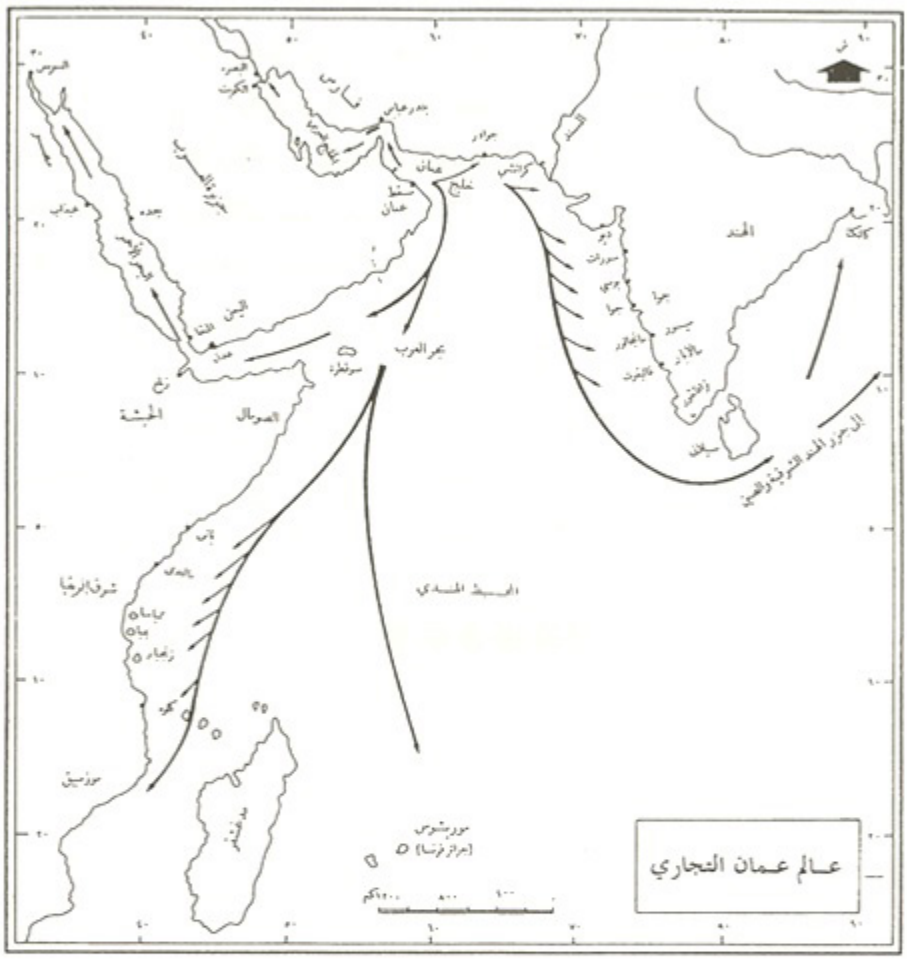
عالم عمان التجاري
بحر العرب
الهند
الصومال
الحبشة
اليمن
عمان
سلطنة عمان
الخليج
البحر الأحمر
المحيط الهندي
موريشوس
(جزائر فرنسا)
شرق افريقيا
مدغشقر
موزمبيق
الجزر الهندية الشرقية والغربية

خريطة رقم (٢)